دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q2].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

محمد المختار السوسي
ذاكرة بادية المغرب و"أمازيغ" سوس
١٨٩٨ – ١٩٦٣

د. لمياء عبيدي
أستاذ مساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة
جامعة سوسة – الجمهورية التونسية

مُلَخّص

مثل الاشتغال على المسار الفردي والمعرفي لـ "محمد المختار السوسي" فرصة لتتبع التمثل الذي قدمه هذا العالم والفقيه المغربي للمجالات الهامشية ونقصد هنا إلغ وسوس البادية التي انتمى إليها والذي تعود أصوله لها . تشتمل هذه الدراسة على أربع محاور رئيسة، رصدنا في مستوى أول المسار الفردي للسوسي من خلال التشديد على أصوله وتكوينه فقد مثلت سوس أولى حلقات الانتماء والتكوين له، تقترن طرافة هذه الفضاءات المغربية بخصوصياتها الثقافية فهي "بلد العلم الشفوي" بالإضافة إلى أنها تغلب عليها الأمازيغية والشلحة. تقاطع المسار الفردي لـ"المختار السوسي" مع هذه الفضاءات البدوية بشكل كبير. عبّرت المدونة المصدرية التي تركها "محمد المختار السوسي" على هواجسه ورهانات الكتابة بالنسبة له فمن خلال هذه المدونة تمكنا من تتبع المشروع الفكري الذي حاول تمريره والذي تمحور بالأساس حول ثنائية الوطن والذات، والذات هنا نقصد بها "سوس" /"إلغ"، أما بالنسبة للقسم الثالث من المقال فقد تتبعنا من خلاله الكيفية التي احتفى بها "محمد المختار السوسي" بنموذج العالم والفقيه بشكل لافت للنظر، والذي قدّمه كنموذج مرجعي للهوية الوطنية المغربية. عملنا في القسم الأخير من العمل على تتبع الإشكاليات التي برزت لحظة تركيب "الهوية الوطنية" التي اقترنت بسياق استقلال المغرب الأقصى فلا يمكننا فصل المسار الفردي والمسار المعرفي لمحمد المختار السوسي عن الخصوصيات التي صاحبت سياق تصفية الاستعمار بالمغرب ولحظة حصوله على الاستقلال بحيث اقترنت هذه السياقات بحبك هوية رسمية ساهمت أجهزة الدولة في تجسيدها على أرض الواقع عبر آليات مختلفة مع مساهمة النخب العالمة التي مثلها "محمد المختار السوسي" داخل هذه الدراسة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٥ مايو ٢٠٢٥
تاريخ قبـول النشـر: ٢١ يونيو ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

محمد المختار السوسي؛ سوس؛ الأمازيغ؛ العالم الفقيه؛ الهوية الوطنية؛ الهويات الهامشية؛ الهوية الأحادية

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2025.385635.1227

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

لمياء عبيدي، "محمد المختار السوسي: ذاكرة بادية المغرب و"أمازيغ" سوس ١٨٩٨ – ١٩٦٣".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد الثاني والسبعون؛ أكتوبر ٢٠٢٥. ص ١٥١ – ١٧٥.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: abidilami@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

ساهمت النخب العالمة المغربية خلال القرن العشرين في تشكل المشهد الثقافي والسياسي، وقد كان للحواضر الكبرى كفاس والرباط ومراكش حضورًا كبيرًا، إلا أن الاشتغال الدقيق وتفكيك توجهات هذه النخب يمكننا من الكشف على مساهمة بقية مدن مجال المغرب الأقصى ودورها الفعال في نسج مروية وطنية تعكس الهوية المغربية في بعدها الرسمي. وفي هذا الإطار يمكننا تفحص بعض النماذج التي تنتمي للبوادي المغربية، من تتبع مدى مساهمتها في المشهد الثقافي والسياسي المغربي خلال القرن العشرين، من ذلك نموذج "محمد المختار السوسي"، بحيث يمثل الاشتغال على المسار الفردي له فرصة لرصد الخصوصيات الثقافية للمغرب والإشكاليات الثقافية التي واجهت دولة الاستقلال حال حبك سرديتها الوطنية.

جاءت المدونة المصدرية التي قدّمها السوسي لتعكس لنا بشكل كبير هذه الإشكاليات وتجيب عليها في نفس الوقت، فقد اقترنت لحظة استقلال المغرب والعشرية التي تليها ببروز وحبك مروية وطنية رسمية من جهة مع بروز مرويات أخرى تقاطعت كلها حول البحث في سؤال الانتماء والهوية. واجهت هذه الفضاءات الهامشية العديد من التحديات أثناء مسار بحثها عن الاندماج في المروية الرسمية وهذا ما يمكننا تتبعه بشكل دقيق من خلال المسار الفردي والمعرفي لمحمد المختار السوسي الذي سعى إلى إثبات انتماء هذه الفضاءات للثقافة العربية الإسلامية وأكد على الجذور العربية والإسلامية لمجال سوس وإلغ.

يمكن أن نتخذ من "محمد المختار السوسي" نموذج ثقافي مرجعي نتتبع من خلاله انسلاخه وتحوّله وحتى اندماجه داخل الأطر الثقافية الجديدة التي عرفتها المغرب مع بروز الدولة الوطنية ودولة الاستقلال. فهذا النموذج الذي ولد من رحم الفضاءات المحافظة لم يقطع بشكل حاسم مع تقليديته، بل بالعكس سعى لزرع مروية البادية ومروية الفضاء المحافظ داخل المروية الرسمية المغربية.

أولاً: المسار الفردي لـ "محمد المختار السوسي" (ثنائية القبيلة والوطن)

١/١-الأصول والتكوين

ولد "محمد المختار السوسي" سنة ١٨٩٨ بإلغ[١] وهي من قرى سوس، تقع في ناحية "تازروالت" في جنوب "المغرب أين قضي العشرين سنة أولى من عمره"[٢] " ولقب "بالإلغي" و"السوسي". تتميز "إلغ" بمجتمع تغلب عليه الأمية/ قلة عالمة فالعلم في سوس هو بالأساس العلم الديني واللغة العربية هي المدخل لهذا العلم فهي بيئة غير عربية (أمازيغي – شلحي) وعبارة على "بوادي مترامية" و"قرية ساذجة مغمورة"[٣] وأهلها يتقنون "الشلحة".[٤] وسمها "السوسي" كذلك بـ "جبال جزولة" وهي "جبال لا عربي فيها وإنما تسكن القبائل العربية هوارة وأولاد يحيا... ولم تزدهر العلوم العربية بالدراسة منذ قرون إلا في جبال جزولة... [فالشلحي البربري] ينشأ في بيئة لغته الشلحية البعيدة عن العربية فإنه قد يحفظ القرآن وهو لا يدري حتى معنى الخبز والسمن والبصل... لأنه ينشأ في إقليم منزو منكمش على نفسه قلما يزوره عربي أجنبي عنه كما هو الحال في جبال جزولة قبل الاحتلال..."[٥].

تقترن طرافة هذه الفضاءات المغربية بخصوصياتها الثقافية فهي "بلد العلم الشفوي" والمشافهة بالإضافة إلى أنها تغلب عليها الأمازيغية والشلحة. تقاطع المسار الفردي لـ"المختار السوسي" مع هذه الفضاءات البدوية بدرجة أولى[٦] أين تلقي جزءا من تكوينه التقليدي عبر حفظ القرآن على يد مجموعة من المعلمين – في مقدمتهم والدته[٧]. لعبت المدارس السوسية كذلك دورًا مهمًا في تكوين "محمد المختار السوسي" فكانت المدرسة الإلغية الواقعة بمسقط رأسه أول حلقة أين تلقى دروس على يد "أحمد البولوقتي"، وكان ذلك سنة ١٩١١. انتقل بعد بضعة أشهر إلى "المدرسة الإيغشانية"[٨] حيث قضى بها حوالي سنتين، تلقى خلالهما دروس في مبادئ علوم العربية والفقه والأدب على يد العلامة "عبد الله بن محمد الإلغي"[٩] وذلك من خلال مجموعة من المتون: كالأجرومية والمرشد المعين "ابن عاشر" ولامية ابن مالك في الصرف، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وألفية بن

مالك...التحق سنة ١٩١٣م بمدرسة "بونعمان"[١٠] وأما المدرسة العلمية السوسية الرابعة فهي مدرسة "تانكرت" الواقعة بمنطقة "إفران الأطلس الصغير وفي هذه المدرسة قضى المختار أكثر من أربع سنوات أي إلى آخر سنة ١٩١٨ [١١].

يشير "محمد المختار السنوسي" إلى أنه "ابن بيئة الأمس" و"ابن زاوية" حيث كان والده الشيخ "علي الدرقاوي الإلغي"[١٢] شيخا للطريقة الدرقاوية في منطقته هو "ابن التربية الصوفية" "ففي فترة شبابه الأولى حاول أن يقتفي طريق أبيه... فلبس لباس الصوفية وجال إتباع والده في النواحي..."[١٣]. شكلت إذن "سوس" أولى حلقة انتماء "محمد المختار السوسي" والتي تدعمت بابتعاده وخروجه منها والانفصال عن فضاء البادية.

٢/١-بعيدًا عن "البادية"

مثل خروج "محمد المختار السوسي" من الفضاء الأصلي الذي انتمى إليه وتلقى فيه تكوينه لحظة مهمة لأنها حملت معها خصوصيات طريفة داخل مساره الفردي، فبالإضافة إلى أنها مثلت فرصة للابتعاد على فضاء البادية المنغلق، فقد ساهمت هذه الرحلات في تعزيز تكوينه. مثلت "الرحلة" أو "الهجرة" حدث هام في حياة أهل سوس بصفة عامة وهو ما بيّنه الكاتب والأنتروبولوجي الأمريكي"جون واتربوري"، من خلال مصنفه "الهجرة إلى الشمال سيرة تاجر أمازيغي" الذي تابع فيها رحلة "الحاج إبراهيم" إلى الدار البيضاء[١٤]حيث بين أهمية "الهجرة" بالنسبة لأمازيغ سوس أو ما يطلق عليهم في الكتابات الكولونيالية تسمية "شلوح" فقد أضحت عندهم الهجرة الموسمية للذكور قاعدة على مدى نصف قرن، بسبب النقص المستمر في النظام الزراعي التقليدي في مناطق سوس، ونتيجة توالي موجات الجفاف على المنطقة.[١٥]

توقف الباحث كذلك عند علاقة روّج لها الاستعمار الفرنسي باعتبارها متشنجة أو متنافرة، ألا وهي علاقة الأمازيغ بالدين الإسلامي واللغة العربية، ليثبت أن الحقيقة نقيض ذلك تماما، فكما جاء على لسان محاوره الحاج إبراهيم " شكل رجال الدين دائما قوة ربطت سوس بالمخزن في الشمال، وبشكل أوسع، بالأمة الإسلامية ككل، وبذلك أصبحوا يمثلون عنصر توحيد يخفف من حدة خصوصية المنطقة وعزلتها، وقد مكنتهم معرفتهم باللغة العربية، وبالتالي بالقرآن من الحفاظ على ذلك الانجذاب إلى النص المكتوب والوثائق، الذي يتميز به السوسيون".

مثلت الرحلة آلية للخروج من عزلة سوس فكان "طالب العلم السوسي لا بد وأن يرحل وقد تكون رحلته قريبة فيتنقل في مدارس القبائل الأخرى وقد تبتعد إلى حواضر العلم إلى مراكش وفاس...الرحلة حدث هام ... لأنها تنتزعه من موطنه البادي ليتصل بالحاضرة المعربة فهو إذن يغترب إغترابين اغتراب في نمط المعاش واغتراب في اللسان.."[١٦]. في نفس هذا الإطار كانت الرحلة حاضرة في حياة "محمد المختار السوسي" فقد توجه في بداية الأمر إلى مدرسة الساعدات الواقعة في أحواز مراكش حيث مكث طوال سنة ١٩١٩-١٩١٨ أين تلقى علوما مختلفة ومن هناك حل بمراكش لتكون جامعة "ابن يوسف" المرحلة الأولى من رحلته العلمية، عبر الحواضر المغربية، بعد أن استغرقت دراسته العلمية في المدارس العلمية البدوية حوالي ٩ سنوات.

تلقى "محمد المختار السوسي" في "جامعة ابن يوسف" علوما متنوعة وكان ذلك خلال مدة استغرقت خمس سنوات ثم توجه نحو"جامعة القرويين" بفاس التي مثلت "المؤسسة الحضرية الثانية" التي صقلت شخصيته وطبعتها بعلوم جديدة، دامت دراسته بجامعة القرويين حوالي أربع سنوات (١٩٢٤-١٩٢٨)، وكانت "الرباط" المحطة الأخيرة في رحلته العلمية أين قضي بها "تمام العشرين سنة التي بلغتها مدة تلقيه العلوم، وفي العاصمة تلقى العلوم على ثلاثة من كبار مشايخها وهم: الشيخ أبو شعيب الدكالي، ومحمد السائح، والمدني بن الحسني..."[١٧].

لعبت مدينة "فاس" دورًا هامًا داخل مساره الفردي[١٨] فلم تكن فضاء تلقى فيه تكوينه فحسب، بل تغيرت مفاهيمه عن الحياة فيها، حيث يشير إلى أنه في "فاس" تكونت لديه "فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات الربانية كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية فأعددت نفسي فداء لديني

ولوطني ولأمتي التي هي أمة العرب والإسلام جمعاء وأنا بين هاتين الفكرة والغيرة أسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد... أقضي الواجب لديني ولوطني ولشعبي...". قال متحدثًا عن ذلك: "في فاس استبدلت فكرا بفكر، فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز قد ارتكز على الدين والعلم والسنة القويمة [١٩]. بعد فاس انتقل إلى الرباط، واستقر ثانية بمراكش سنة ١٩٢٩[٢٠]. مكنت هذه الرحلات "محمد المختار السوسي" من الحصول على ثقافة واسعة في مختلف العلوم التي كانت تدرس، سواء بسوس، أو مراكش[٢١]، أو فاس، أو الرباط[٢٢].

عاد "محمد المختار السوسي" إلى البادية مرة أخرى، ولكن هذه المرة من زاويا مغايرة تماما، حيث تم نفيه في مرحلة أولى لباديته وذلك في علاقة بدوره في الحركة الوطنية،[٢٣] ثم كمكتشف جديد لها وكأننا به يعيد تملكها واكتشافها من جديد. حيث اعتمدت السلطات الاستعمارية على المراقبة القانونية[٢٤] بالإضافة إلى محاولة الاحتواء بتكليفه من طرف "الباشا الكلاوي" بالإشراف على جمعية تحمل اسم "جمعية التعاون الثقافي" مهمتها جمع التبرعات للفقراء بمراكش وإسناده منصب القضاء له مع تخصيص راتب مغري مقابل التخلي على مهنة التدريس، لكنه رفض هذا المنصب، أو عبر الأساليب الزجرية من خلال نفيه حيث بدأ التخطيط لنفي "محمد المختار السوسي" منذ بداية ١٩٣٦، ويظهر ذلك في مراسلة سرية من قائد جهة مراكش الجنرال "دول وسطال" إلى رئيس الشؤون الأهلية بالرباط[٢٥].

من خلال العودة لجملة من المراسلات والتقارير الفرنسية بالدرجة الأولي يمكننا تتبع الصورة التي قدمت "لمحمد المختار السوسي" فيتم التركيز في التقارير الفرنسية على دوره كعالم وفقيه بالدرجة الأولى ووصلت إلى وصفه بالمتعصب أو الأصولي والمعادي للمسيحيين وللآخر بصفة عامة[٢٦] فهو وحسب هذه التقارير يمثل خطرًا[٢٧].

تم نفي "المختار السوسي" أواخر سنة ١٩٣٦ لمنطقة سوس وقد مثلت بداية مرحلة جديدة في حياته"... فبعد غياب عشرين سنة قضاها في تنمية ثقافته وتنويعها، ها هو ذا يعود إلى مسقط رأسه (إِلْغ)... أين باشر رحلاته العلمية والاستكشافية في رحاب سوس، تجميعا للتراث السوسي المبعثر، وتوثيقا لمجريات الماضي، وتنظيما لما تبعثر من أفكار وأوراق وتقاييد وكنانيش، وتسجيلا للمذاكرات والمطارحات، وتوصيفا للمشاهدات والمعاينات بعد سنوات خمس من النفي، نظم المختار السوسي، أربع رحلات علمية، ضمنها كتابه "خلال جزولة"[٢٨]. عمل على تتبع المخطوطات والاعتناء بتاريخ الوقائع والتعريف بالشخصيات وتقييد المذاكرات وجرد محتويات المدارس العتيقة والخزائن".[٢٩] لعبت الرحلة دورًا هامًا داخل المسار الفردي لـ"المختار السوسي" فهي لم تكن مجرد وسيلة للابتعاد عن البادية، بل مثلت آلية ساهمت بقسط كبير في تكوينه.

ثانيًا: المسار المعرفي: مدونة "محمد المختار السوسي" (ثنائية "الوطن" و"الذات)

عبّرت المدونة المصدرية التي تركها "محمد المختار السوسي" على هواجسه ورهانات الكتابة بالنسبة له فمن خلال هذه المدونة يمكننا تتبع المشروع الفكري الذي حاول تمريره. جاءت المدونة المعرفية "لمحمد المختار السوسي" متشعبة والتي لا بد وأنها اقترنت بخصوصية المغرب الأقصى وبخصوصية مساره فردي.

عملت بعض المقاربات[٣٠]على تقسيم المدونة المعرفية الخاصة بـ"محمد المختار السوسي" إلى مجموعة من المحاور تراوحت بين ما وسمته بالكتب الموسوعية (المعسول) وأخرى أدبية بالإضافة إلى حضور الجانب التاريخي وكتب التراجم والسير، دون أن ننسى الجانب الديني والمذكرات، وانفتحت كذلك هذه المدونة على جوانب من الثقافة الشعبية والتراثية مع كتب الرحلات. يبقي هذا التقسيم فيه من الوجاهة الشيء الكثير، ولكن إذا حاولنا البحث عن تقسيم آخر نفهم من خلاله هواجس "محمد المختار السوسي" لقسمنا هذه المدونة وفق ثنائية الوطن والذات، والذات هنا نقصد بها "سوس"/ "إلغ".[٣١]

اهتمت هذه المدونة بسوس وبـ"إلغ" في ثلاث مستويات:

١/٢-الذاكرة الشفوية أي تدوين الذاكرة الشفوية وتثبيتها (إشكالية اللغة المحلية الأمازيغية الشلحة).

مثل الاشتغال على الشهادات الشفوية من أبرز الآليات المعرفية التي اعتمدها "محمد المختار السوسي" لصياغة جملة الأفكار وتركيب مسار معرفي متشعب. عمد إلى الاستعانة بالذاكرة الشفوية بشكل مكثف فقد مثلت من بين أبرز المصادر التي اعتمدها داخل مدونته المعرفية، فنحن أمام تثبيت للذاكرة الشفوية وتحويلها إلى ذاكرة مكتوبة قصد المحافظة عليها من الاندثار من جهة ومحاولة ترك أثر لهذه المجالات التي تطغى عليها الثقافة الشفوية. أشار "محمد المختار السوسي" في مقدمة كتاب "المعسول" إلى أنه "حين لم أجد من أخالط إلا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما ستيسر من بعض أذكيائهم... تسجيل كل ما أسمع... من أفواه الرجال..." فأغلب مصادر هذا الكتاب هي من "أفواه رجالات" سوس وإلغ.

مثلت الاستعانة بالشهادات الشفوية ضرورة اقتضتها ظروف نفيه ومنهج عمل داخل أكثر من مصنف من ذلك كتاب "سوس العالمة" أو كتاب "من أفواه الرجال" حيث أشار إلى أن هذا "الكتاب ليس كالكتب لأنه مكتوب عن بداهة وألقي فيه الراوون ما يقولون بلا تعمل يسأل السائل فيجيب المجيب فيلفق القلم فإذا بالصحائف تسود وإذا بالكلام يتكاثر"[٣٢]، " فهو عبارة على "تسجيل للروايات الشفوية لمريدي الزاوية الدرقاوية عن الشيخ علي بن أحمد الدرقاوي في ١٠ أجزاء". اعتمد على نفس هذا التوجه في مصنف "خلال جزولة" حيث أشار في مقدمة الكتاب إلى أنه عمل على "تقييد الشوارد واقتناص الأوابد إما من أفواه هؤلاء الذين أمكن لي أن أتصل بهم اتصالا تاما."[٣٣]، بالنسبة لمصنف "حول مائدة الغذاء" فهو عبارة على"تقييد للروايات الشفوية لأحد رجالات البلاط السلطاني في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في جزء واحد مطبوع".

في نفس هذا الإطار "جمع ١٥٠٠ مثل من الأمثال الأمازيغية السوسية، وقد أشار إلى ذلك بقوله: حرصت على جمع الأمثال الإلغية من قديم في كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة، ثم أخذها مني الكولونيل المستشلح (جوستينار) ففرنسها ونشرها في بعض المجلات الفرنسية، ثم رجعت كرة أخرى ونحن في معتقل (أغبالو نكردوس) فأمليتها على الوزير الكبير أخي سيدي محمد الفاسي، فجمع منها عني ألفا وخمسين ما بين منثور ومنظوم... وفي لقائي مع الأستاذ محمد الفاسي أكد لي أن ما رواه عنه من الأمثال الأمازيغية السوسية يبلغ ألفا وخمسمائة مثل، توجد كلها في كتابه المخطوط الذي وضعه عن الأمثال المغربية..."أمثال الشلحيين وحكمهم نظما ونثرا"، تضمن حكم الأمازيغ السوسيين بلسانهم مخطوط[٣٤].

تميزت هذه الفضاءات البدوية بخاصية أخرى وهي لهجتها الغير عربية فعملية التحول شملت كذلك لغة أو لهجة هذه الذاكرة الشفوية من خلال تحويلها من لغتها المحلية الأصلية إلى اللغة العربية والعكس بالعكس"... وفي هذا الصدد نشير إلى أن "محمد المختار السوسي" يعتبر من أكثر من ترجموا من الشلحة السوسية إلى العربية، "وجل أو أغلب ما كتبه لنا في مؤلفاته وعلى الخصوص منها 'من أفواه الرجال' ذي العشرة أجزاء أو "الترياق المداوي" وكثير من فصول موسوعته المعسول أو عدة صفحات من "خلال جزولة" إنما استقى وجمع لنا الأخبار من أفواه عدد من الرجال بلسان شلحي، وحرر جميع ما سمعه منهم مترجما إلى العربية، حيث كتبه في الترياق المداوي "وكلام الشيخ بالشلحة ونحن نترجمه بالمعنى إلى العربية الفصحى...وقد حرصت جهدي على أمانة النقل فيها، ثم حررت الجميع وقد عانيت لأؤدي بالعربية المعاني التي في لغة الشلحة، وقد لعبت المعرفة الميدانية دورا هاما في هذا المجال حيث أشار إلى أنه عمل على الترحال في سوس والتجول فيها باحثا فيها وملتقطا لخصوصياته"[٣٥].

٢/٢-الثقافة الشعبية (التراث- العادات..)

المستوى الثاني الذي قدّمه "المختار السوسي" حول "سوس" هو الجانب التراثي والثقافة الشعبية أي الجانب

المعيش والذي تجسد في الاهتمام بالعادات والتقاليد بالإضافة إلى الأمثال الشعبية والنوادر أو الحكايات. من ذلك "أحاديث سيدي حمو الشلحي أو أخلاق وعادات سوسية"[٣٦]. وضع "محمد المختار السوسي" كذلك مؤلفات حول العادات الإلغية، وقد قال عنها هي: "مجموعة نفيسة فيما نرى يعرف بها القارئ كيف عادات تلك الجهة التي فيها "إلغ" في مجالسهم، ومآتمهم، وملاعبهم، وكيف لباسهم، وطبخهم، وما يفعلونه في أيام من السنة، كعاشوراء، واليوم الأول من يناير، والأعياد، والحصاد، والدرس، والحرث.

كما تحدث في أكثر من مؤلف عن العادات، ووصف العمران، ودوّن الأعراف حيث أشار إلى أن "بالأمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس، وفي اختيار التأثيث، وفي هيأة الملابس، وفي إقامة الحفلات، وفي مزاولة العمال، فتكونت لنا هيأة اجتماعية توافقنا لأنها متسلسلة عن الأجداد [...] وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله، بلونه وفكره، بسياسته ومكره، بحضارته المشعة، بعلومه الحيوية المادية، بنظامه العجيب، لمعامله المنتجة السريعة، بكل شيء يمت إلى الحياة الواقعية، فوقع لنا كما وقع لأصحاب الكهف يوم رجعوا إلى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما [...]. أعد بحثًا مطولاً في مقارنة الأمازيغية بالعربية، أسماه: "الألفاظ العربية في الشلحية "وتحدث عنه بقوله: "جمعنا في ذلك، ولا يزال ينقصه الترتيب على حروف المعجم على ما نريده..."، وفي نفس هذا الإطار يمكننا ذكر مصنفه "الألفاظ العربية في الشلحة السوسية"[٣٧]، كذلك مخطوطه "قطائف اللطائف في النوادر والحكايات والمضحكات" و"أمثال الشلحيين وحكمهم نظما ونثرا"[٣٨].

٣/٢-الثقافة العالمة وشيوخ المتصوفة

يمثل هذا المستوى الثالث (الثقافة العالمة وشيوخ المتصوفة) الجزء الأكبر من المدونة المصدرية التي خلّفها "محمد المختار السوسي" والتي تعتبر فيها مصنفات من قبيل "المعسول" و"سوس العالمة" أبرز مكونين. مثل كتاب "سوس العالمة"[٣٩]لبنة أخرى ضمن المشروع الفكري والثقافي لـ"محمد المختار السوسي" حيث يشير إلى أنه كتب "في إلغ مسقط رأسه أين ألتزمت العزلة عن الناس أجزاء كثيرة تناهز خمسين جزءا في العلماء والأدباء والرؤساء والأخبار والنوادر والهيأة الاجتماعية وما هذا الكتاب.. إلا واحد من تلك الأجزاء وكلها مقصورة على أداء الواجب عليَ من إحياء تلك البادية..."فـ"التاريخ العلمي العام لا يمكن أن يتكون تكونا تاما إلا من التواريخ الخاصة لكل حاضرة من تلك الحواضر ولكل بادية من هذه البوادي" المغربية ماض مجيد في ميادين المعارف العربية..." حيث عمل على إبراز ما وسمه بـ "ما قاساه أساتذتها وأشياخها في تثقيف الشعب وتنوير ذهنه وتوجيهه التوجيه الإسلامي بنشر القرآن والحديث...". جاء هذا المستوى ليشمل المعارف المتصلة بـ: اللغة والآداب[٤٠]، الفقه[٤١]، رجال المتصوفة[٤٢].

جاءت هذه المستويات الثلاث لترصد لنا أبرز الأوجه التي قدّمها "محمد المختار السوسي" عن ذاته التي تم إختزالها في أخبار "إلغ"/"سوس"، مثلت الذات محور اهتمامه بشكل مكثف من ذلك تخصيص مصنف وسمه "بالإلغيات" حيث أشار إلى "أن هذا الكتاب مرآة لذلك البسيط إلغ وما يروج فيه من أدبيات ومحادثات وأفكار، ولكن يجب أن يعرف القارئ أن إلغ إذ ذاك لا يزال بعيداً عن إشعاعات هذا العصر ثم لم يتبدل ذلك إلا في السنوات الأخيرة...".

مثلت هذه المستويات الجوانب التي قدّمها "محمد المختار السوسي" عن ما وسمناه "بالذات" والتي تمحورت بالأساس حول "إلغ" و"سوس" فكانت عبارة على نقل من ثقافة قوامها المشافهة بلغتها المحلية الأمازيغية إلى ثقافة مكتوبة باللغة العربية قصد زرع هذه الثقافة وفي أبعادها الثلاث(الشفوي -المعيش- العالم) داخل جسم "الثقافة الوطنية المغربية" لذلك تماهت هذه الأبعاد مع المقوّمات الثقافية المغربية والتي ميزت النصف الأول من القرن العشرين وإلى حدود ستينات القرن الماضي والتي وقع اختزالها في البعد العربي الإسلامي الوطني فجاءت مدونة السوسي متماهية مع هذه الأبعاد.

مثل ما نقله عن الفكر العالم الجزء الأكبر من مدونته وذلك قصد التماهي مع مقوم أساسي للحركة الوطنية المغربية وهو السلفية، فالسوسي عمل على إبراز مساهمة "إلغ" وهذه الفضاءات البدوية فيما أنتجه الفكر

العالم المغربي. مثلت "إلغ" و"سوس" جزء من الوطن الذي قدّمه السوسي داخل مدونته المصدرية من خلال بعض النصوص[٤٣] من ذلك أجزاء من المعسول وخاصةً الجزء الـ٢٠ الذي أشار إلى أنه "أتينا في القسم الخامس بفذلكة من القواد والشيوخ السياسيين الذين لهم مواصلة تامة مع الإلغيين..."[٤٤] ومخطوط المقاومون من الجنوب للاحتلال من بين المحاضرات التي ألقاها بالمعتقل[٤٥].

لا يمكننا أن ننكر أهمية مثل هذه التقسيمات والتأكد على وجاهتها المعرفية في نفس الوقت، فنحن أمام تقسيمات في علاقة بمباحث مختلفة، ولكن يبقى أمامنا مقاربة المدونة المصدرية وفق رهان السياق التاريخي والتي تمكننا من الولوج للإشكاليات الفعلية التي رام السوسي" الاشتغال عليها والإجابة عنها من خلال هذه المدونة.

حال رصد هذه المدونة وفق السياق التاريخي يمكننا تقسيمها لمصنفات جاءت في سياق المغرب المستعمر ومجموعة ثانية برزت مع مغرب ما بعد الاستقلال وسنعمل على الفصل في هذه الإشكالية لاحقًا. حيث تميز سياق الاستعمار بانخراط "محمد المختار السوسي" في الحراك السياسي والثقافي الذي ميز النخب الوطنية المغربية منذ مرحلة إقامته بمدينة فاس وعودته لمراكش أين أنشأ بها أول مدرسة حرة.

تقترن أهمية هذه المدونة بالرهانات التي حاول الإجابة عنها فـ"محمد المختار السوسي" لا يريد أن يثبت انتماء إلغ وسوس للمغرب أو التأكيد على أن هذه الفضاءات هي مكوّن رئيسي للهوية وللمتقاسم الجمعي المغربي فقط، بل أراد كذلك أن يبرز مساهمتها ودورها وبصمتها داخل الأطر الفكرية والثقافية للمغربية فالفكر العالم لم يقتصر على ما قدمته مثلا مدينة فاس أو مراكش، بل إن لكل فضاء جغرافي مساهمته منها الفضاء البدوي الأمازيغي/ البربري الشلحي[٤٦] وهذا ما تجسد بشكل واضح من خلال اهتمامه بنموذج "العالم والفقيه" وإبراز دوره داخل "سوس".

ثالثًا: النماذج المرجعية التقليدية وعلاقتها بالهوية الوطنية

عمل "محمد المختار السوسي" على تقديم ما وسمناه بالنماذج المرجعية التقليدية للهوية الوطنية ونقصد هنا المسارات الفردية التي تم الاحتفاء بها داخل مدونته المصدرية والتي التقت عند مجموعة من الخصائص أبرزها على الإطلاق أنها نماذج حركت ووجهت الذائقة العامة لمراحل تاريخية طويلة داخل البادية، حيث تم الاحتفاء بنموذج "العالم والفقيه". لا يمكننا أن ننكر أهمية هذا النموذج حال ربطه بالسياق التاريخي الذي كتبت فيه هذه المدونة المصدرية فنحن أمام ظرفية أفول مثل هذه النماذج وبروز أخرى قادرة على توجيه الفضاء العام. بقيت خاصية ثالثة ونقطة أساسية وهي أن هذه النماذج هي نماذج تقليدية بالأساس ممثلة لمجتمعات تقليدية بدوية.

١/٣-العالم الفقيه نموذج مرجعي للهوية الوطنية المغربية (خصوصيات نموذج العالم)

احتفى "محمد المختار السوسي" داخل مدونته المصدرية بنموذج العالم والفقيه بشكل لافت للنظر، وقدّمه كنموذج مرجعي للهوية الوطنية المغربية ضمن سياقات متحوّلة بدأت فيها هذه النماذج المرجعية تفقد أي تأثير فهي تحاول التموقع ضمن الأطر الثقافية الجديدة. احتفى "محمد المختار السوسي" بالمسارات الفردية بشكل لافت، ورغم تشعب المدونة المصدرية الخاصة به اختار الاحتفاء بنموذج "الفقيه والعالم" من خلال مصنف "المعسول" في الوقت الذي خصص فيه مصنفات أخرى لتقديم هذه النماذج المرجعية، ولكن اخترنا التعويل على كتابي "المعسول" من جهة وكتاب "سوس العالمة " من جهة أخرى وذلك لاقتران مساره الفردي بهذين الكتابين فمن خلالهما تمت إعادة تملك هذا المسار الفردي وإدماجه ضمن المروية المغربية الرسمية. أشار "محمد المختار السوسي" إلى أن مصنف "المعسول" يضم "أشياخ الإلغيين من الصوفية والعلماء ثم الذين أخذوا عن الإلغيين من العلماء والصوفية..."[٤٧].

جاءت هذه السير في تفاصيلها العديدة فقد احتفي "السوسي" بها بشكل لافت للنظر من خلال العمل على "الإسهاب" داخل هذه الترجمات، وقد أشار إلى اختياره لهذه الطريقة فقد "حرص كل الحرص على الإسهاب وذكر كل التفاصيل التي يراها من وجهة نظره مهمة والتي اقترنت أساسًا بذكر النسب والتكوين لذلك أصبحنا نتحدث عن مصنف بـ ٢٠ جزء وكل جزء يتكون تقريبا من ٤٠٠ صفحة، أي أننا أمام عمل موسوعي، وكتابة موسوعية. وهنا علينا التوقف عند جملة من الملاحظات لعل أبرزها أن هذه الكتاب أو لنقل هذا المشروع لم يتم تشكيله في لحظة واحدة وضمن سياق واحد، بل بالعكس نحن أمام مصنف تم تركيبه بصفة تدريجية فرغم تبدل السياقات إلا أن الكتاب حافظ على راهنيته ووجاهته.

انطلق "محمد المختار السوسي" منذ أواخر الثلاثينيات وهو في المنفي بالاهتمام بهذا المبحث، ليعمل حال نهاية هذه المرحلة سنة ١٩٤١ على تدعيم ما كان قد بدأه[٤٨]، اللحظة الثانية هي بعد استقلال المغرب حيث أشرف بصفة شخصية على طباعة هذه المسودات مع بعض الإضافات واعتبر أن في ذلك ضرورة "فطباعة المصنف في حياة صاحبه أفضل من بروزه بعد وفاته وهو ما يحيل على أن كتاب المعسول وفي هذه الطبعة يعبر بشكل كبير على هواجس صاحبه.

ولتدعيم هذه الفكرة علينا الإشارة إلى أن "محمد المختار السوسي" اختار أن يُنشأ بين السير والترجمات التي نقلها خيطا ناظما فتخير نواة أولى صلبة وتفريعات في علاقة واتصال بها وهو وما عبّر عنه بوجود شرطين وهما أن يكون في صلة بالعلم أو الصلاح[٤٩]. ورد المعسول في ٢٠ جزء مقسمة كما يلي "ثلاثة أجزاء في الإلغيين العلماء والرؤساء" وخمس أجزاء في أساتذتهم وثلاثة في تلامذة مدرستهم وستة في الآخذين عن زاويتهم وثلاثة في أصدقائهم السوسيين"[٥٠].

النواة الأولي الأصلية والصلبة هي تاريخ "إلغ" المجسدة في "أسرة أعتبرها "صالحة وعالمة" وهي أسرة أو آل"عبد الله ابن سعيد" والتي من خلالها تفرعت بقية السير وبقية المسارات الفردية والتي شملت من لهم علاقة بهذه النواة الأولي فتم تقديم "أبناء الشيخ" في البداية[٥١]، ليمر من الخاص أو من النموذج الفردي لنموذج أكثر اتساعا وهو الإلغيين الذين في علاقة بهذه النواة الأولى فركز على أساتذة الإلغيين ثم تلامذتهم ليمر لدائرة أكثر اتساعًا وهي أصدقائهم ليتم إقحام المجال السوسي ككل فيها ليصبح يتحدث عن أصدقائهم من السوسيين.

حيث يشير إلى أنه نظمه "تنظيما يكاد يستوفي كل أعمال زوايا سوس ومدارسها مع الإلمام بأخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم وجمع رجالات الأسر العلمية..." فاشترطت أنني كلما ذكرت رجلاً ممَنْ كانوا على شرط الكتاب أن أذكر كل ما حواليه من رجالات أسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن أساتذته... مررنا من دائرة ضيقة فردية تختزل مكان ومجال لنتحول إلى مجال أوسع يختزل مجال ضيق فجاءت كل المسارات الفردية في علاقة بهذه الشبكة وبالنواة الأصلية. كانت النواة الأولى "في الإلغيين العلماء والرؤساء" والتي وردت في ثلاث أجزاء ثم "في أساتذتهم كالجشتيميين والأدوزيين وغيرهم وجاءت في خمس أجزاء، أما بالنسبة "لتلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالمين فقد وردت في ست أجزاء وبقيت ثلاث أجزاء في "أصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم...".

التقت هذه المسارات الفردية حول مجموعة من النقاط:

مجموعة أولى هي عبارة على سير مؤسسة جمع بينها أصل واحد وهي التي اعتبرها النواة الأولى الأصلية وهي عائلته فذكر والده[٥٢]نحن أمام سير مؤسسة للمدرسة الإلغية وللإلغ ككل[٥٣] بالإضافة إلى تتبع جده وجدته " "تكدا بنت سعيد" وهي أم الوالد وجدة علماء كثيرين من إلغ. وليست وحدها من يستحق أن يذكر من نساء قبيلتنا التي سابقن رجالنا إلى ميدان الديانة وجاذبنهم حبال الصلاح..." مع ذكر سيرة والدته[٥٤].

عمل على التركيز على النسب داخل كل مسار فردي وذلك بشكل لافت للنظر فقد اختار فروع مخصوصة داخل كل عائلة وجعل بينهم روابط دم بدرجة أولى وروابط قرابة قصد التأكيد على فكرة التوارث

وأهميتها، وهو هنا لا يقصد التوارث في جانبه المادي، بل توارث العلم داخل تلك فروع لذلك تم التركيز على الجانب التكويني داخل كل مسار فردي، ".. فللعلم شرفا خالدا ومجدا مؤثلا أكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ومن المجد الذي عرفوه من قبل..."[٥٥] وهو ما أكد عليه حال نقله لسيرة جد والده.[٥٦] تم التأكيد على علاقتهم بالعلم والدين والصلاح والتصوف (حفظة القرآن- الإفتاء- أدباء[٥٧]- قاضي[٥٨]) فقد قدّم لنا مسارات فردية في علاقة بالثقافة العالمة وبالتصوف أي في علاقة بالإسلام وبالدين الإسلامي كمكوّن للهوية الوطينة.

رصد داخل عائلته وداخل إلغ أجيال مختلفة أو ما وسمها بـ"الرعيل" فتحدث عن"كبار الرعيل الأول من الإلغيين"[٥٩]وكيف مروا من الصلحاء[٦٠] إلى مرحلة الفقهاء، فكان أول فقيه من قبيلتنا السعيدية هو "سليمان بن محمد بن سعيد" فهو "أول من بدا له أن يولي وجهته من قرينه الأتي ذكره سيدي أحمد بن صالح شطر المعارف فانفتح بهما باب جديد لأهالينا لم يلبثوا بعد أن ازدحموا في عتبته ازدحامًا... كانت القبائل السملالية والإيسية والتملية... يتلألأ منها العلماء من أزمان وأهلنا في إلغ في نسك وعبادة وأمية... وأخيرا وفقت الأسرتان الصالحية والمحمدية إلى أن يرسلوا أولادهم في هذا الميدان... "[٦١]. وأما أول فقيه وحسب تصوره هو" محمد بن بلقاسم ...بن سعيد أول فقيه علامة متمكن شهير نشأ بإلغ من أهالينا بعد الفقيه سيدي سليمان المتقدم فرفع راية الإفتاء... الفجر الصادق البين الذي يتبين به الخيط الأسود...العلامة الفهامة الفقيه المتمكن من تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن... وهو يقضي ويحكم بما أراه الله وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه وعرفوا له مكانته التي أطل منها ما بين الأقران..."[٦٢]. ما يلفت الإنتباه داخل ما نقله لنا "السوسي" هو غياب المسارات المعرفية لهؤلاء العلماء والفقهاء أي غياب مصنفاتهم فكأننا بهم لم يتركوا مؤلفات ومصنفات ذاع سيطها بشكل كبير فآثارهم حاضرة بصفة محتشمة[٦٣].

تعود أقدم السير إلى القرن السابع عشر بالإضافة إلى سير لأفراد مازالوا أحياء[٦٤] لحظة كتابة هذه المصنفات وهنا تكمن أهمية مثل هذه المسارات ورمزيتها خاصة مع لحظة الاستقلال فهي نماذج عايشت الاستعمار بكل تقلباته وعايشت لحظة الاستقلال، ولكن ما يلفت الانتباه هنا ويبقي بحاجة لتمعن وتفكير هو أنه حال نقل هذه المسارات الفردية لم يحتف لا بلحظة الاستقلال ولا بالنضال الوطني ولا بمسألة مقاومة الاستعمار الفرنسي. تبقي هذه الفكرة بحاجة لتدقيق من جهة ولقراءة من داخل المدونة في حدّ ذاتها وليس من خارجها فبماذا نفسر إذن عدم احتفاءه بالنضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي في الوقت الذي قدّم فيه بعض المسارات الفردية التي عايشت هذه الظرفية فالاهتمام بالاستعمار جاء بشكل مقتضب وبعض الشذرات[٦٥].

لم تمثل مسألة مشاركة ومساهمة هذه السير في مقاومة الاستعمار الفرنسي[٦٦] أو في النضال الوطني هاجس ورهان سعى السوسي الاشتغال عليه بشكل مكثف فطرافة هذه السير تكمن ووفق القراءة التي رام تقديمها هي خصوصيتها الثقافية وعلاقتها بالرهانات التي طرحت إن كان مع سياق الاحتلال أو لحظة الاستقلال. لماذا تم اختيار هذه النماذج دون غيرها لماذا لم يتم اختيار نموذج المقاوم مثلا للاستعمار؟؟

لا يمكننا أن ننكر وفي نفس هذا الإطار حضور مبحث مقاومة الاستعمار بشكل مكثف لكي لا نقل أساسي ضمن المروية الرسمية لتاريخ المغرب المعاصر وليس أدل على ذلك الحيز الهام الذي جسدته داخل مجموعة من المقاربات من ذلك جملة المصنفات التي لخصت تاريخ المغرب وأبرزها عل الإطلاق والذي يمثل محصلة البحث التاريخي في المغرب وهو مصنف "تاريخ المغرب: تحيين وتركيب" حيث خصص الفصل التاسع لما وسم بـ" الحماية: الغزو والمقاومة والتحولات" فتم إبراز دور ما وسم بـ" المقاومة القبلية"[٦٧].

لم تقدم لنا مدونة "محمد المختار السوسي" النماذج المرجعية للهوية الوطنية فقط، بل إن طرافتها تكمن في صاحبها الذي يمثل في حدّ هذه النماذج، فهو عالم وفقيه بالدرجة الأولى حيث يشير إلى أنه "عالم دين"/ "رجل علم لا رجل سياسة"/[٦٨]، هو يعرف نفسه بأنه من "... الشلحيين نتكلم على سريرة طاهرة لا نعرف تزويق الكلام ولا بهرجة الحديث..."[٦٩]."محروم من أدوات

الزعامة وقيادة السياسة... "وطنيتي من ديني .... لا أنا ديني من وطنيتي..."، "... وطنية توجهت بها إلى نفع الأمة بالإرشاد والتعليم وإزالة الغشاوة..."[٧٠].

التصق المسار الفردي لمحمد المختار السوسي بصورة العالم أكثر من السياسي وهي صورة سعي هو شخصيا لتكريسها فـ"عمل العالم أرسخ من عمل السياسي" فلماذا اختار "محمد المختار السوسي" أن يكون رجل علم وليس "رجل سياسة"[٧١]. لفهم هذا التناقض قدّم لنا "علي اومليل" الاستنتاجات التالية:

- ضرورة تقديم نموذج العالم في علاقة بالبيئة السوسية التي ينتمي إليها "محمد المختار السوسي" ولا نهتم بها في المطلق. فنحن أمام "بيئة لا عربية" تغلب عليها المشافهة والتي اكتسب فيها العالم سلطته ووجاهته وفقا لهذه الخصوصية، فهو ينتمي لهذه الفئة القليلة التي تربط هذه الفضاءات بالمغرب أي تربط الجزء بالكل.
- عرفت هذه السلطة الاعتبارية للعالم التقليدي جملة من التغيرات جعلتها تفقد نفوذها ووجاهتها أمام بروز "السلفية الوطنية الجديدة" والتي كانت منحصرة في بعض الحواضر ولم تتهيأ سوس لها بعد. تغير المكانة التقليدية للعالم بسوس وسلطته في طريقها إلى الاضمحلال.
- مختار السوسي كان متردد بين موقع العالم التقليدي وموقع المثقف السلفي فهل كان بطبعه وبيئته الأصلية يحس نوعا من عدم الانسجام مع النخبة المؤسسة للحركة الوطنية ببيئتها الحضرية وعائلاتها؟
- شاهد المختار السوسي تدهور مدارس العلم القديم بسوس فكان هدفه هو الدعوة إلى إنقاذ هذا العلم قبل النظر في محتواه ولما كان هذا العلم بسوس هو دائما علم أقلية من حولها محيط غريب عنها بحكم ما سمي بـالعجمية" فإن هذه الفئة بعلمها مهددة في وجودها نفسه ولذا كانت ضرورة الدفاع عن استمرار وجود هذا "العلم" سابقة على الدعوة إلى تغيير محتواه وتحميله أفكارا مجددة على النحو الذي كان للسلفية بالحواضر ولذا كان لا بد له أن تحدد بحدود البيئة التي اتجه إليها اهتمامه.[٧٢]

نقلت هذه السير وبشكل مبطن الإشكاليات الثقافية التي طرحت على مجال "إلغ" و"سوس" حيث لم يطرح عليها رهان مدى مساهمتها في النضال الوطني ومقاومة الاستعمار بقدر ما طرح عليها إشكال مدى انتماءها وانصهارها داخل الهوية المغربية هذه الهوية الآتسعة طيلة النصف الأول من القرن العشرين وإلى حدود الستينات حينها أصبحنا نتحدث عن هوية متعددة الأبعاد، ولكن مع السياق الذي نقله لنا "محمد المختار السوسي" عاش المغرب إن كان مع الاستعمار الفرنسي أو العشرية الأولى من الاستقلال، وضع إثبات وحدته الثقافية بانتمائه للثقافة العربية الإسلامية لذلك انصهرت كل الثقافات الأخرى والهامشية داخل عملية processus الإثبات هذه فلم تسعى لإبراز التميز والاختلاف إلا بالقدر الذي يجعلها مكوّن للهوية الوطنية في بعدها الرسمي. من هنا جاء اختيار نموذج الفقيه والعالم في علاقة بالرهانات التي سعى "محمد المختار السوسي" تكريسها فقد أراد التأكيد على تجذر مثل هذه النماذج داخل الفضاء البدوي الإلغي والسوسي في نفس الوقت فهذه النماذج مسيجة وضامنة للوحدة والهوية المغربية في بعدها الثقافي الرسمي من خلال علاقتها بالدين الإسلامي وباللغة العربية.

٢/٣-العلاقة بالدين الإسلامي واللغة العربية

نتحدث عن وحدة مغربية وذلك في علاقة بالخصوصية الثقافية لإلغ، فإلغ أو سوس لا تمثل فضاءات بدوية بعيدة عن المراكز الحضرية ومتميزة عنها فحسب، بل هي عبارة على وحدة unité جغرافية وثقافية لها خصوصيتها فهي فضاءات "أمازيغية" "بربرية" بالأساس لغتها "الشلحة" فلهذه "البوادي المغربية ماض مجيد في ميادين المعارف العربية" حسب التصور الذي سعى "محمد المختار السوسي" إلى تكريسه، لذلك مثل التركيز على عراقة علاقتها بالدين الإسلامي وباللغة العربية رهانات فعلية لـ"محمد المختار السوسي" سعى لتجسيدها داخل مصنفي المعسول وسوس العالم حيث اعتبر "لغة العرب خير لغة أخرجت للناس بعدما هذبتها ألسن العرب العرباء ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من

يعتنقون الإسلام في أقصى المشرق إلى أقصى المغرب فالحمد لله الذي هدانا حتي صرنا نحن أبناء إلغ العجم نذوق حلاوتها حتي لنعد أنفسنا من أبناء يعرب وإن لم نكن إلا أبناء أمازيغ... فاللغة العربية عندنا معشر الإلغيين هي لغتنا حقا التي نعتربها لأن بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا وأبناء جداتنا من الحريليين والوفقاويين... حتي أننا لنرى أنفسنا من ورثة الأدب العربي فنغار أن مسه ماس ونذود عن حماه... فنحن عرب أقحاح من حرشة الضباب... وإن لم تكن أصولنا إلا من هؤلاء الذين يجاورونا من أبناء الشلحيين الأمجاد.."[٧٣].

اتخذ "محمد المختار السوسي" من هذه الفضاءات مطية لتجاوز تلك المقاربات والقراءات التي حصرت تاريخ المغرب الثقافي في مدينة "فاس" [تاريخ المغرب الثقافي العام ليكاد كله يكون كجوانب الرحي حول قطب فاس] فإن مثلت فاس"عاصمة الدين والعلم والحضارة وصارت منبع العلم وميزان الدين ومقياس الشعور والحضارة في المغرب" إلا أنه سرعان ما اكتسى المغرب حلة عربية فتأصلت فيه العلوم العربية.

أكد "محمد المختار السوسي" على أن سوس[٧٤] ولئن كانت من "الأطراف التي تشع نحوها هذه الحواضر..." إلا أنها عرفت الإسلام منذ أيام عقبة بن نافع و"تخطاها إلى الصحراء" ولم تشتهر بالعلم العربي إلا لاحقا[٧٥].

تتبع داخل مصنف "سوس العالمة" ما وسمه بـ" النهضة العلمية السوسية بعد القرن الثامن"[٧٦]فبفضل "المعاملات الجيدة للأمراء العلويين أحرز السوسيون ما أحرزه...فنشطوا إلى ما هم بصدده من بث العلم ورفع راية الإرشاد والناس من ورائهم يمشون فتكتظ المدارس في هذه الأجيال الأخيرة كما كانت في الدولتين قبلها السعدية والإيليغية."[٧٧] في ذلك تأكيد على تسابق السوسيين في إنشاء المدارس فـ"ترى القبائل كل واحدة منها أن من الواجب عليها إشادة مدرسة علمية خاصة بها فإقامة المدارس وعمارتها صارت ميادين فخر تتسابق إليه القبائل".

لم يكن التأكيد على فاعلية المدارس مقترنا بدورها التعليمي فقط، بل أكد على أن هذه المجالات القبلية "الشلحية" البعيدة "كانت تحتكم كذلك للشريعة الإسلامية في فض خصومتها ولم تكن الأعراف قواعد عامة، بل كانت الخصومات لا يفصلها إلا الفقهاء وويل لمن تصدى لفصلها من العوام المستبدين على القبائل وقليل ما هم على أنه لا يدلهم من الاتكاء على رأي الفقيه كيفما كان الحال...خاصة وأن الأعراف لا يخلو منها بلد".

خصص "محمد المختار السوسي" قسم من كتابه لرصد العلوم التي "يعتني بها السوسيون" وقسمها لـ٢١ فنا"، بالرغم من تعدد هذه العلوم إلا أنه يمكننا حصرها في مستويين: مجموعة أولى في علاقة بـ"اللغة العربية" ومجموعة ثانية في علاقة بالدين الإسلامي وبذلك تم رصد المعارف التي في اتصال بضمان "الوحدة المغربية" وتسييج الهوية الوطنية المغربية في جانبها الثقافي. شملت العلوم المتصلة باللغة العربية كل من النحو، التصريف، اللغة، الأدب، علم البيان، المنطق "[٧٨].وفي هذا الإطار أكد "محمد المختار السوسي" على ضرورة تثمين "الجهود التي يبذلها الشلحي حتى يتذوق اللغة العربية وعلومها فيعذر السويين إن قلّ فيهم مبرزون.

خصص "محمد المختار السوسي" قسما كاملا من كتاب "سوس العالمة" لما وسمه بـ"الأدب العربي السوسي" فرصد "النهضة الأدبية السوسية الأولى ٩٠٠ه-١١١٨ه ثم زمن الفتور ١١١٨ه-١١٨٩ه ليصل إلى مرحلة إنعاش الأدب بعد فتوره ١١٨٩ه-١٢٦٩ه وأخير النهضة الأدبية السوسية الثانية ١٢٦٩ه-١٣٥٢ه ليخصص ذيل لهذه النهضة بعد ١٣٥٢ه. في اهتمامه بالعلوم التي برزت في سوس وإلغ ركز على العلوم المتصلة بالدين فهي فن القراءات، التفسير، الحديث، السيرة، علوم الحديث، الأصول، علم الكلام، الفقه، الفرائض، الأسانيد. وأشار إلى أنه تم "الاعتناء بالتفسير من ناحية الإعراب أكثر من الاعتناء بالتفسير للمعاني.. ولروجان هذا الفن وللمواضبة عليه حافز ظاهر وهو أن السوسي شلحي غير عربي لا يمكن أن يهتدي لمعاني الآيات إلا بالتفسير لكلماته يتلقاه عن أربابه ...".

أما بالنسبة للسيرة فالإلغيون ومن إليهم لا يزال لهم بعض اعتناء بالسيرة النبوية حتى أن منهم من ترجم "نور اليقين" إلى الشلحة في سفرين فكانت هناك نسوة يعرفن السيرة بالشلحة...". وأما فن القراءات فقد أشار

إلى أن "...قيام السوسيون بمساجد القرى أتم قيام نجد كثيرا في القرى من يحرص على أن يحفظ ولده القرآن بكل ما أمكن سيول جرارة من حفظة القرآن بحيث لا تجد قرية ليس فيها جماعة أتقنت حفظ القرآن في كل أرجاء سوس.

عمل "محمد المختار السوسي" على التركيز على هذه "القلة العالمة" داخل فضاء له خصوصياته يطلب وفي حاجة للعلم الذي تبثه هذه الفئة القليلة لضبط معاملاتهم كتابيا فهذه "الفئة العالمة منفصلة بثقافتها الكتابية عن مجتمعها، ولكنها في نفس الآن متصلة به نظرا لحاجة هذا المجتمع إلى علمها الديني ولإمتلاكها لأسرار الكتابة والتوثيق..."[٧٩] فالعلم في سوس هو أساسًا العلم الديني واللغة العربية هي مدخل لهذا العلم[٨٠] والحاجة التي تحفز هذا المجتمع غير المعرب إلى اللجوء إلى أهل الثقافة العالمة هي حاجة دينية بالأساس. فمشروع السوسي هو مقاومة اضمحلال الذاكرة السوسية وذلك بتثبيتها بالتدوين. ما هي الذاكرة التي خاف المختار أن يصيبها مرض الفقدان؟ إنها الذاكرة العلمية أساسا صحيح أنه قد اهتم بتاريخ وأخبار رجاله وبعوائد بعض نواحيه أو إلغ ولكن سوس الحقيقية تظل عنده هي سوس العالمة وذاكرتها بالنسبة إليه هي ذاكرة علمها الكتابي.

تقترن أهمية هذه المسارات الفردية وهذه النماذج المرجعية بالسياقات التي أنتجت فيها، وهنا علينا الإشارة إلى أننا أمام سياقين مختلفين في علاقة بلحظة أولى كتب فيها "محمد المختار السوسي" مؤلفاته وهو لا يزال في المنفي[٨١] منذ سنة ١٩٣٧ وذلك في علاقة بمروية الاسطوغرافيا الاستعمارية لمجال سوس وإلغ، أما اللحظة الثانية فقد اقترنت بطباعة بعض الكتب الخاصة بالسوسي والتي تمت سنة ١٩٦١.

تميز السياق التاريخي في مرحلة أولى بالحضور الضاغط للاستعمار الفرنسي على المغرب الأقصى حيث تميزت الثلاثينات ببروز حركة مقاومة الاستعمار ومثل فيها "الظهير البربري" فاعلا كبيرا[٨٢]. مع الستينات تغيرت وضعية المغرب الأقصى بعد تخلصه من الاستعمار وحصوله على الاستقلال، نحن إذن أمام سياقين مختلفين وهو ما يحيل بالضرورة على تغير الرهانات المطروحة بمعنى أن رهانات لحظة الكتابة تختلف حتما عن رهانات طباعة الكتب.

اقترنت لحظة الكتابة الأولى بظرفية الاستعمار الفرنسي للمغرب لذلك جاءت هذه المدونة في اتساق مع الرهانات والإشكاليات التي طرحتها الإدارة الاستعمارية حال معالجتها للمسألة البربرية والخصوصيات الثقافية للمغرب خاصة مع محاولة تقدمها نحو الجنوب والصحراء المغربية ومحاولة إخضاعها. كانت للسياسة البربرية أهمية كبرى في الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية، إذ اعتبرت الوسيلة الأنجع لتوطيد دعائم السيطرة الفرنسية بالمغرب حيث عمل "ليوطي" أول مقيم عام فرنسي للمغرب على ما يمكن اعتباره تطبيق لمبادئ "السياسة البربرية "خصوصا بمنطقة الأطلس المتوسط، لقد عمل ليوطي Lyautey على ترسيخ جذور السياسة البربرية بالمغرب، وتجريد السلطان من سلطته عن طريق إخضاع القبائل الامازيغية للمحاكم العرفية، وإنشاء الجماعات القضائية البربرية، ومحاربة كل المؤثرات العربية الإسلامية، وكان ظهير ١٩١٤ الأساس الذي ارتكز عليه والقاعدة التي استند عليها لتحقيق ذلك[٨٣]. خلال العشرينات برز "ظهير ١٩٢٢"،[٨٤]لاحقا خلال الثلاثينات أصبحنا نتحدث عن ظهير ١٩٣٠"[٨٥]. اقترن الحضور الاستعماري كذلك بمنجز معرفي[٨٦] عبّر عن تصوراته وتمثلاته للفضاء المغربي ومختلف الإشكاليات والخصوصيات التي اقترنت به وفي هذا الإطار تم الاهتمام بالمسألة البربرية [٨٧] حيث اعتمد الفرنسيون في صياغة سياستهم البربرية على العديد من الآليات من ذلك إحداث معاهد عليا (المدرسة العليا للغة والآداب العربيين واللهجات البربرية في١٩١٤)، من أجل القيام بأبحاث ودراسات ميدانية ونظرية تهدف إلى فهم المغاربة، وقد قامت بهذه الأبحاث لجنة الأبحاث البربرية، التي تأسست بموجب قرار صادر سنة ١٩١٥، انتهت أشغالها بإصدار نشرة بعنوان "الأرشيف البربري.

رابعًا: إشكاليات تركيب "الهوية الوطنية"(٨٨) في المغرب الأقصى (الهويات الهامشية زمن الهوية الآحادية)

بلاد سوس/ إلغ عربية إسلامية: يمثل فضاء "سوس" و"إلغ" ما وسمته بعض المقاربات بالمجالات الهامشية النافعة أو الصالحة والمفيدة بما أن حضورها تراوح بين لعب دور البوابة نحو الجنوب المغربي ودور حدود النفوذ السياسي للمغرب، والتي يمكن في نفس الوقت تسميتها بالهويات الهامشية أي تلك الفضاءات الجغرافية البعيدة عن المركز والتي تمتلك خصوصيات ثقافية متميزة.

تعتبر الهامشية ظاهرة متحركة وديناميكية وطبعت الكثير من المناطق التي تعتبر خارج فضاءات التأثير والشبكات التي تتشكل حول المركز[٨٩]. يكتنف الغموض تموقع الفضاءات "الهامشية" وذلك في علاقة بالمركز وبانتمائها له، لذلك تتسع وتضيق دوائر الانتماء حسب مقاييس مختلفة[٩٠]. جاءت هامشية "سوس" في اتساق مع مراحل تشكل المجال الوطني المغربي لذلك ستعرف نوع من الدمج داخله خلال المراحل التي اتسع فيها وتركز نفوذه.

تقترن هامشية "سوس" بمستويين وهما "المسافة" أي بعدها عن المركز وهو ما يحيل على الموقع وثانيا هي خصوصيتها الثقافية فنحن أمام مجال "أمازيغي" بالدرجة الأولى[٩١]. ساهما هذين العنصرين في منح سوس هوية خاصة فهي تنتمي للفضاء الاجتماعي والسياسي للمغرب ومساهمة في تشكله وهنا علينا الانتباه إلى مشاركة النخب السوسية ومن بينها "محمد المختار السوسي" في بعض المناصب داخل السلطة المغربية لحظة الاستقلال وهو ما يحيل على صهر ودمجها ولو بطريقة شكلية وجزئية في دوائر السلطة بحيث اتخذت عملية ربط هذه الفضاءات بالمجال الوطني أشكال مختلفة[٩٢]. فكيف تدبرت دولة الاستقلال هذا الإرث وهذه الخصوصيات حال تركيب تاريخها وحال تركيب مرويتها الرسمية قصد صهرها ضمن هوية وطنية تقوم على الوحدة.

١/٤-كيف تمت معالجة المسألة البربرية[٩٣] لحظة الاستقلال

لا يمكننا فصل المسار الفردي والمسار المعرفي لمحمد المختار السوسي عن الخصوصيات التي صاحبت سياق تصفية الاستعمار بالمغرب ولحظة حصوله على الاستقلال. اقترنت هذه السياقات بحبك هوية رسمية ساهمت أجهزة الدولة في تجسيدها على أرض الواقع عبر آليات مختلفة ووفق رهانات متعددة انحصرت في ثلاث نقاط في علاقة بخصوصيات المغرب:

- ضمان الوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطني ورفض التجزئة.
- التأكيد على عروبة المغرب وإسلامه.
- تثمين سيادة السلطان بوصفه سلطان المغرب ككل والمجسم لوحدته.

ترتكز الهوية عند هذا المستوى على إبراز ودعم الوحدة واستبعاد التنوع والاختلاف والتعدد فحال رصدنا للهوية الوطنية من الضروري تتبع مسار التوحيد ومسار خلق نوع من التجانس بين مختلف مستوياتها.

تماهي تمثل الهوية الوطنية عند هذه المرحلة مع الرهانات والمبادئ التي سيجت الحركة الوطنية في المغرب والتي تجسدت في الاتخاذ من العروبة والإسلام مقوّما من مقومات الحركة الوطنية التي اختزلت الهوية في العروبة والإسلام وأقصت باقي مكوناتها.

لم يكن تمثل المغاربة لهويتهم ثابتا بل جاء في اتساق وتناغم مع السياقات التي أنتجت هذه التمثلات فمع حضور الاستعمار (الفرنسي/ الإسباني) حددت الهوية المغربية وفق ثنائية مغربي مسلم/ مسيحي كافر مع إضافة مقوّم العروبة مع الثلاثينات ليستمر الأخذ بهذا التمثل طيلة فترة ما بعد الاستقلال إلى حدود فترة نهاية الستينات وبداية السبعينات حيث بدأ خطاب جديد حول الهوية الوطنية المبنية على التعدد والتنوع من ذلك بروز جمعيات أمازيغية وبروز نخبة تطرح خطاب التعدد للهوية من ذلك "محمد شفيق"[٩٤] "صدق أزايكو"[٩٥] و"إبراهيم أخياط"[٩٦].

فقد تحولنا من الهوية الآحادية إلى هوية متعددة الأبعاد، وتحولنا في نفس الوقت من الحضور الفردي

إلى بروز العديد من الجمعيات من ذلك "الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي" والتي تم تأسيسها سنة ١٩٦٧ بمدينة الرباط من قبل نخب "أمازيغية" أغلبهم من منطقة سوس وانحصرت اهتماماتها في صيانة التراث الثقافي بصفة عامة، وبالأدب والفنون الشعبية على الأخص، وذلك عن طريق الدراسات الجماعية والفردية والمحاضرات والندوات[٩٧] بالإضافة إلى إنشاء "المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية" الذي اهتم باتخاذ التدابير التي من شأنها الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها. ويشارك المعهد، بتعاون مع السلطات الحكومية والمؤسسات المعنية، في تنفيذ السياسات التي يعتمدها الملك، من أجل إدراج الأمازيغية في المنظومة التربوية، وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي، والإعلامي الوطني، والجهوي والمحلي.

انحصرت إذن تصورات الهوية الوطنية إلى حدود ستينات القرن الماضي في التمثلات التي صاغتها الحركة الوطنية وأدبياتها من جهة، بالإضافة إلى التصورات التي أنتجتها المعرفة الأكاديمية التي برزت بعد استقلال المغرب أو ما وسمتها بعض المقاربات بـ"التاريخ الوطني المغربي الذي كتب على يد وطنيين" مقابل تاريخ المغرب الذي صيغ من الإدارة الاستعمارية أو الكتابات الاستشراقية.

جاء الإنتاج المعرفي الذي صيغ لحظة الاستقلال كمحاولة للرد عن الكتابات الاستعمارية والأطروحات والأفكار التي صيغت داخلها، لذلك سعت هذه المقاربات "الوطنية" إلى تشكيل مجموعة من الأساطير التأسيسية المغايرة لتلك التي صاغتها المدرسة الاستعمارية فتم التأكيد على تاريخية تشكل ما وسم بالوطنية المغربية وعلى تجانسها من خلال الحرص على تركيب ما وسم بـ"« identité retrouvée» عبر البحث على رموز وأساطير تأسيسية" والبحث عن مرجعيات تاريخية. وضمن هذا الإطار تم اعتبار المسألة البربرية من "التصورات التي صاغتها الإدارة الاستعمارية لذلك سعت "الأدبيات الوطنية" إلى نفيها تماما بشكل كلي، بحيث لا نرصد هذا المبحث إلا بشكل عرضي ومحتشم داخل المقاربات التي ظهرت بعد الاستقلال مقابل التأكيد على تاريخ المغرب الذي تشكل حول الملك وعائلته منذ ظهور الإسلام بالإضافة إلى إبراز "الأمة المغربية" العربية بالأساس.

حكمت ثنائية "الوعي العربي" و"الوحدة العربية" مقابل "الآخر الفرنسي" هذه السردية الرسمية التي حبكت تفاصيلها بعد الاستقلال والتي جعلت من البعدين "العربي والإسلامي" ركيزتين للهوية الثقافية المغربية. وهذا ما تم تلقفه من الأحزاب السياسية التي برزت داخل المشهد السياسي المغربي إبان الاستقلال والتي حكمت المغرب حينها. لم تظهر بعد الاستقلال أدبيات تنقل لنا السياق الفعلي الذي ميز مغرب الاستقلال، بل علينا الإقرار بالدور الذي لعبه الخطاب المعرفي والسردية الرسمية التي أنتجت خلال ذلك السياق في تكريس فكرة مخصوصة عن الهوية الوطنية المغربية من خلال نفي البعد البربري/ الأمازيغي لهذه الهوية والتركيز على البعدين الإسلامي والعربي، فجملة المقاربات التي تشكلت حينها أقصت هذا البعد ووصلت إلى حد اعتباره عائق أمام الوحدة المغربية.

هذه المقاربات وعلى اختلاف توجهاتها اليمينية أو اليسارية عبرت عن هذه التصورات بشكل واضح وجلي من ذلك التصورات التي تبناها "الإتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" والتي عبر عنها من خلال مؤتمراته أو التصورات التي صاغها "محمد عابد الجابري". وعلينا انتظار سنوات لنتعرف بشكل جلي عن السياق الذي ميز المغرب حينها مع بروز مجموعة من الروايات التي نقلت لنا تصور مغاير للقراءة الرسمية لتاريخ المغرب من ذلك رواية " السجينة" لمليكة أوفقير و"حدائق الملك" لفاطمة أوفقير و"الغرفة السوداء: درب مولاي الشريف" لجواد مديدش "وتازمامارت": تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم" لمحمد الرايس""والزنزانة رقم ١٠" لأحمد المرزوقي وغيرها.

ما نقلته هذه الروايات يفند القراءة الأحادية لمغرب الاستقلال لتكشف لنا الصراعات والاختلافات التي عاشتها النخب المغربية بعد الاستقلال ولتكشف لنا تهاوي الأطروحة الداعمة للتجانس الثقافي للمغرب فقد نقل لنا ما عرف بـ"أدب السجون" "جرح "الذات المغربية

سنوات الاعتقال السياسي" وكانت في جزء منها عبارة على شهادات حول إرادة معلنة لطي صفحة الماضي من فاعلين سياسيين مثل المذكرات السياسية، وأحيانًا مسئولين فرنسيين عن فترة الحماية بالمغرب، وأخرى من طرف مناضلين من الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة، وإسهامات لشخصيات قريبة من النظام الملكي من بينهم ضباط مرتبطون بأجهزة سرية متعددة.

من أبرز هذه الروايات رواية "زمن الخوف" التي رصدت لنا اختلاف الأحزاب السياسية المغربية بعد التخلص من الاستعمار وذلك بنقل "الحوادث الدامية التي عرفتها منطقة سوق أربعاء الغربفي خلال شهر جانفي ١٩٥٦ بين أنصار حزب الاستقلال وبين أنصار حزب الشورى وهما عبارة على قريتين متجاورتين اختلفا في اختياراتهما السياسية وهذا ما جعل منها رواية تاريخية سياسية تعالج موضوعات متعددة منها الذاكرة والتاريخ، أثر الصراع على السلطة في البادية المغربية وخلال الأزمنة الانتقالية وما يسودها من عنف وفوضي..."[٩٨].

ما نقلته لنا هذه الأدبيات لم تسع الرواية الرسمية لإبرازه فكل ما تم التنويه به حالة الانسجام والتوافق الذي ميز مغرب الاستقلال والذي تدعمت من خلال الوثائق التمهيدية لدستور ١٩٦٢ من ذلك "مشروع بنونة" الذي أعده سنة ١٩٦١ وجاء فيه "المغرب دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة كاملة وهي ملكية إسلامية دستورية عمادها القرآن والسنة والمصلحة العامة والبيعة الاختيارية للشعب واللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية..."[٩٩]. فخلال مرحلة وضع أول دستور وبالرغم من الصراعات بين الملك "الحسن الثاني" والأحزاب المنبثقة عن الحركة الوطنية وخلافات حول تقسيم السلطة بين الملك والحكومة فإن مسألة الهوية لم تكن محط جدل بين النخب والملكية في تلك المرحلة وذلك تحت مسوغ اعتبارها محسومة في ثنائية الإسلام والعروبة و"المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة لغتها الرسمية هي اللغة العربية وهي جزء من المغرب الكبير فالإسلام دين الدولة" [١٠٠].

نقلت لنا الرواية الرسمية، وخلال هذه السنوات الأخيرة وبعد مسار طويل من إعادة تركيب الهوية المغربية، قراءة للسنوات الأولى "للمغرب المستقل" من جهة ونقلت تمثلها للمسألة الأمازيغية، فتم التأكيد على أن "المرحلة الأولى الفاصلة بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٥ لم تخل من توتر بالغ وصل حد العنف في عدة مناسبات تمثلت أساسًا في الصراعات التي دارت بين القصر والحركة الوطنية والحركة الوطنية وكذا داخل هذه الحركة بمختلف مكوناتها السياسية وامتداداتها المسلحة عن طريق المقاومة أو من يتحرك باسمها كما تمثلت في الأحداث التي عرفتها منطقة الريف مع نهاية الخمسينات..."[١٠١].

فقد عرفت الأوضاع السياسية في السنوات الأولى من المغرب المستقل نوع من التزعزع والتأرجح بين التحديث والمحافظة ووصل الأمر إلى الحديث عن نوع من المبارزة بين دعاة التطوير المؤسسي والتحديث وأنصار المحافظة والجمع بين سائر السلط. واجهت النخب المغربية حينها ووفقا للرواية الرسمية العديد من التحديات فقد عرف هذا السياق وفي نفس الوقت انتقال للحكم بالإضافة إلى ضرورة حسن تدبير الصراعات من جهة وحسن تدبير الإرث الكولونيالي من جهة أخرى[١٠٢] سميت بـ"فوضي ما بعد الاستقلال"[١٠٣]. عرفت العديد من الخلافات بين الملك وبقية المكونات السياسية التي ظهرت حينها خلاف بين القصر وحزب الاستقلال عند تكوين الهيئات الحكومية الأولى حول مَنْ يتولى منصب وزير الداخلية.

أكدت الرواية الرسمية على أن النخبة المغربية اهتمت خلال هذا السياق بما وسمته "بتحرير الثقافة المغربية من رواسب الاستعمار وبناء الهوية الوطنية"[١٠٤] وهنا طرحت إشكالية "المسألة البربرية أو الأمازيغية" التي تم النظر إليها على أنها من رواسب الاستعمار لذلك يجب تصفيتها ونفيها والتأكيد على وحدة وأحادية الهوية الوطنية المغربية. فقد تم اعتبار الأمازيغية "كتعبير شفوي" وهي مجرد تعبير مثلها مثل التعبير الدارج والتعبير الحساني والملحون وهي عبارة على إنتاجات تم الاحتفاظ بها كلها كموروث ثقافي وطني ناتج عن امتزاج وتلاقح مجموع العناصر البشرية المتساكنة على اختلاف لغاتها وتنوع تقاليدها ضمن مسلسل طويل المدى[١٠٥]. فتم التأكيد على أن الاهتمام بهذه التعابير وإدماجها

ضمن التاريخ الثقافي للمغرب قصد "عدم حشرها في سلة مهملات التاريخ أو اعتبارها مجرد تعابير منحطة..." فهي تندرج ضمن "ثقافة شعبية" متشبثة بهوية متعددة الأبعاد. تم تقديم الأمازيغية كلغة وثقافة ومدى تأثرها بالصراع الذي قام بين الحركة الوطنية وإدارة الاستعمار إبان فترة الحماية وهكذا "...فإن العناية بالأمازيغية قد اعتبرت غداة الاستقلال ضربا من تكريس سياسة المستعمر الرامية إلى التفرقة... مما يتنافي مع هدف التوحيد في إطار دولة وطنية تعتبر وحدة اللغة من مقوماتها الأساسية..." لذلك تم التركيز والتنويه بمشاركتهم ومساهمتهم في تاريخ المغرب فـ"معلوم أن عددًا من الأمازيغ رجالا ونساء تركوا بصمات في شتى مجالات المغرب..."[١٠٦].

٢/٤-"محمد المختار السوسي زمن الهوية الآحادية

انخرط "محمد المختار السوسي" بشكل كلي في هذا السياق الذي ميز مغرب الاستقلال: زمن الهوية الآحادية من جهة و"الصخب السياسي" من جهة ثانية والذي عبرت عنه الروايات الأدبية بشكل واضح، فبعد أن نجح النضال الوطني في "لجم وكبت الاختلاف الثقافي الفكري والتعارض بين النظم المعرفية... وبعد أن كانت الأولوية للعمل السياسي على الثقافي" جاءت لحظة تصفية الاستعمار لتبرز معها العديد من الاختلافات ولتعمل مختلف النخب على الانصهار داخل هذه اللحظة عبر آليات ومواقف مختلفة ومتضاربة أحيانا. وهنا يمكننا طرح المسار الفردي والمعرفي لمحمد المختار السوسي من هذه الزاوية فبناء الهوية الآحادية/ الوطنية جاء في ارتباط بإقصاء الهويات الثقافية الأخرى وخاصة "البربرية" "الأمازيغية" منها التي ينتمي إليها "محمد المختار السوسي".

عبّر "محمد المختار السوسي" عن هذه الهواجس داخل مقدمة كتاب المعسول حيث يشير إلى أن "أمثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرخ شبابنا في المغرب المستقل قبل ١٩١٢ قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد ١٩٥٦ فقد حرصنا أن لا ننكر إلا ما يستحق أن ينكر وأن نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهادنا أن نساير العصر وأن نتفهمه فلا ننكر أخذ ما لا بد من أخذه من أساليب الحضارة ونظمها وعلومها... فإذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع إليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال وأعظم ما نهتم به شيئان: أحدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب إلا بعد جهود قرون ومتى اجتثت من أي شعب يمثل هذه الاندفاعات العمياء فإن أبناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة، وثانيهما التفريط في المحافظة عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع أنحاء بلاد المغرب منذ أوائل القرن ١٠ه وليت شعري لماذا كنا نحرص على الاستقلال إن لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في أسس ديننا الحنيف والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد..."[١٠٧].

فالهوية الوطنية التي تتنافذ بشكل كلي مع الحركة الوطنية بنيت على "مقاومتها للظهير البربري" وللسياسية البربرية التي حاولت السلطات الاستعمارية انتهاجها وهو ما عبرت عنه النخبة الوطنية بشكل واضح حيث أشارت إلى أن "مقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب عناصر الشعب المغربي وتوحيده نريد محاربة مبدأ التجزئة الميكيافيلي الذي ينشره بتفنن ممثلوا فرنسا الحربيون والدينيون نريد أن نمنع خلق كتليتن ذات ثقافتين ومصالح متناقضة خلقا اصطناعيا نريد أن نكفل حرية الضمير والتفكير للمواطنين جميعا بكيفية جدية...".

ضمت النخب المغربية داخلها توجهات وتيارات مختلفة وأصول مختلفة كذلك منها النخب الأمازيغية أو البربرية[١٠٨] التي تعرضت لمحاولة استغلال من طرف الاستعمار والإقصاء من طرف الحركة الوطنية المغربية[١٠٩] رغم مساهمتها وحتى انصهارها داخلها، وما المسار الفردي لـ"محمد المختار السوسي" إلا دليل ونموذج لذلك، فنحن لا نكاد نتحسس فوارق كبيرة بين ما حاول صياغته من رهانات وبين المبادئ التي تبنتها الحركة الوطنية والتي قامت عليها دولة الاستقلال. حاول السوسي صهر هذه العناصر ضمن المروية

الرسمية والهوية الوطنية فهو كان مدركا لتمايز أهل إلغ وأهل سوس، ولكنه عمل على تبيان جهودهم في الانصهار والتماهي مع الهوية الوطنية لذلك احتفي بشكل ملفت للانتباه بتجاوزهم للصعوبات التي تعرفها مثل هذه المجموعات حيث أشار إلى الصعوبات التي يواجهها الشلحي في تعلم اللغة العربية في بيئته[١١٠].

لفهم التعقيدات التي تقترن بنموذج "محمد المختار السوسي" وخاصة خلال المرحلة التي تحصل فيها المغرب الأقصى على استقلاله علينا تتبع الطريقة التي تم التعامل بها مع المدونة المصدرية للسوسي. هنا علينا التوقف عند ملاحظة مهمة وهي أن اسم "محمد المختار السوسي" اقترن بمصنفات دون أخرى وبالطبع هنا نقصد خاصة مصنف "سوس العالمة" و"المعسول" التي وكما أشرنا سابقا عرفت لحظة أولى هي لحظة الكتابة ولحظة ثانية هي لحظة النشر والطباعة حيث تضافرت المطابع المغربية على إخراج أجزاء المعسول وعمل السوسي على توزيع الأجزاء على المطابع.

لفهم الكيفية التي تم عبرها احتواء هذه المصنفات ودمجها داخل هذا السياق يمكننا رصد تقاريظ كتاب "المعسول" والتي برزت سنة ١٩٦٠ حيث جاءت هذه التقاريظ لتنقل لنا أراء ومواقف علماء ستينات القرن الماضي من كتاب "المعسول" من جهة وتحيل كذلك على إعادة تملك هذا المصنف ضمن ذلك السياق وزرعه داخل تلك الظرفية التي عرفت في نفس الوقت محاولة لبناء ذاكرة[١١١] وطنية يلتقي حولها المغاربة وتجسد هويتهم. عمل "محمد المختار السوسي" على اختيار "تقاريظ لغير السوسيين من أيمة أعلام، ومؤرخين عايشوا تلك الظرفية. التقت هذه التقاريظ حول ثلاث نقاط أساسية تكررت بشكل ملفت للانتباه:

النقطة الأولى في علاقة بالصورة التي قدّمت "لمحمد المختار السوسي" حيث نقلت لنا المعطيات التي تهم مساره الفردي فتم التذكير بمسألة نفيه من قبل السلطات الاستعمارية بالإضافة إلى علاقته ودوره الثقافي الفعّال خلال تلك الظرفية فـ"محمد المختار السوسي" "هذا الطالب والمدرس البدوي ساهم بشكل ملفت في الحفاظ على اللغة العربية "فشخصية من أمثال المختار ظهرت في وقت غريب لم يبق من معالم التضلع في اللغة العربية إلا الآثار والأطلال"[١١٢]. تم التركيز على علاقته الوطيدة باللغة العربية وبالدين الإسلامي ودوره في التعريف بسوس وبإلغ ولم يتم الإشارة إلى مسألة أصوله البربرية إلا بصفة عرضية.

النقطة الثانية تم التأكيد من خلالها على أن إلغ وسوس جزء من المغرب في بعدها الجغرافي والمجالي وجزء من تاريخ المغرب الثقافي الذي "احتفظ بطبيعته وسجيته وصقلته روح الإسلام وتعاليمه وفيه يجد الفقيه دراسات واسعة عن تطور الفقه ومبلغ سمو الفكر السوسي في تطبيق النصوص بعيدا عن التمثل الذي يقدم له عادة كـ"جزء قاحل شحيح التربة لا يسمن ولا يغني من جوع" أو تقديم أهله على أنهم "تجار أذكياء لا أقل ولا أكثر". فهذا الجزء المغمور ووفق لهذه التقاريظ هو"دار علم ودين وتصوف"[١١٣] بالدرجة الأولى، تميز أهله بنبوغهم في لغة العرب وعلوم الإسلام فقد حرص "أولئك البدويين العجم الأمازيغ الشلحيين على تفهم الدين وحفظه والتفقه والقيام بعلومه وأركانه"[١١٤] تم التأكيد إذن على أن المغرب بجميع أقاليمه للمغاربة أولا وأخيرا، فنحن أمام "جانب من جوانب المغرب يضم طائفة من أبناء الأمازيغ الشلحيين البدويين" وقد تم الاحتفاء بدورهم وولعهم "بنشر اللغة العربية وعلومها وآدابها...".

النقطة الثالثة في علاقة بمحاولة صهر ودمج المسار الفردي لـ"محمد المختار السوسي" ولأقليم سوس داخل المروية الرسمية والهوية الوطنية المغربية لحظة حصوله على الاستقلال من خلال التأكيد على أنهم جزء من الثقافة المغربية التي"..تعتز برجال السلف الصالح وتحترم شيوخنا الأبرار مبدؤنا الاعتزاز بالإسلام ثم بالعروبة ثم بالوطنية الاستقلالية الحرة الصادقة المخلصة والافتخار بأمجاد قومنا وماضي أمتنا..."[١١٥]. تم التأكيد في هذا الإطار على أن كتاب المعسول كان له دور في نقل معطيات تهم النضال الوطني ضد الاستعمار وتهم المقاومة حيث ذكر "معلومات عديدة مهمة حول أحداث ووقائع تاريخية مهمة وصفحات مجهولة من ثورة أبي الحمار وعن الثائر الذي قاوم الاحتلال بـ"تافيلالت" ومذكرات عن حياة القائد الناجم الشهير الكفاحية ضد قوات الاحتلال والمتعاونين معها من قواد ورؤساء

وباشوات... أحداث عظاما في المقاومة ضد الأجنبي وعملائه وقعت في الأصقاع السوسية لم ينشر عنها بيننا في الحواضر أي حديث..."[١١٦].

لفهم الرهانات التي حركت هذه التقاريظ يمكننا وضعها في سياقها المعرفي الذي تميز بحضور قوي للإسطغرافيا الاستعمارية و"... تجرؤ العدو المحتل على أن ينكر عروبته المغربية وإسلامها وهما العاملان الفعالان في تكوين المجتمع المغربي وتكييفه وتماسكه واستعصائه على الغزاة والفاتحين وشرع يعمل في تنفيذ خطته الإجرامية الرامية لاقتلاع جذور هذه العروبة وهذا الإسلام من البلاد وذلك بتشجيع الرطنات الأعجمية واللهجات المحلية وإحلال الأعراف الجاهلية محل الشريعة الإسلامية وفرض اللغة الأجنبية وجعلها وحدها لغة الإدارة مع مقاومة اللغة العربية والثقافة الإسلامية واضطهاد أهلها..."[١١٧].

لذلك تم التأكيد عبر تقاريظ كتاب المعسول على "استعراب" هذا الإقليم وانتشار الثقافة العربية والمدارس الإسلامية فيه والجهود الذي بذلها السكان لاحتضان هذه الثقافة وتشجيعها وحمايتها بدافع من أنفسهم وخصوصا لعقيدتهم الدينية التي تغلغلت في نفوسهم وسيطرت على حياتهم من غير أن تتبني أية حكومة من الحكومات المتعاقبة على البلاد فرض هذا الاستعراب. تم صهر المسار الفردي والمعرفي لمحمد المختار السوسي ضمن هذا السياق والتشديد على ارتباطه بهذه التصورات بالإضافة إلى صهره ضمن المروية الوطنية التي استمدت شرعيتها من نضالها ضد الاستعمار فتم التركيز على أن السوسي سجّل "أيام المقاومة ومواقف الجهاد[حيث] قام صناديد الرجال من مكافحة الاحتلال غير عابئين بما يكتنفهم من الخلاف والاختلاف.

جاء نموذج "محمد المختار السوسي" ليجيب على الإشكاليات التي تعلقت بصهر "بلاد السيبة" "الشلح" "البربر" ضمن الهوية الوطنية والتي اقترنت بالتأكيد على علاقتها بالدين الإسلامي وباللغة العربية من جهة وعلاقتها بالسلفية من جهة ثانية هذه الايديولوجيا التي وجدت فيها الحركة الوطنية المغربية مرجعية لها فهي "عقيدة إصلاحية تدعو إلى العودة إلى الإسلام الأصلي أي "إسلام السلف الصالح فالنهضة تمر عبر تصفية المعتقدات مما علق بها من بدع وانحرافات"[١١٨]حيث "لم يكن هناك تناقض في ذهن الأنتلجانسيا الوطنية بين العقيدة السلفية والإيديولوجية القومية الغربية والنزعة الوطنية إذ اعتبر استقلال كل بلد عربي خطوة أولى على درب الوحدة العربية التي تشكل هي الأخرى مقدمة ووحدة العالم الإسلامي.[١١٩] وهو ما يحيل على تأثر النخب الوطنية بالسلفية وموضوع الهوية بل إن موضوع الهوية ظل مؤطرا بتصورات الحركة السلفية التي تجمع على الدفاع عن الهوية في أبعادها الدينية اللغوية الثقافية.

علينا الإشارة إلى أن عملية الصهر هذه كانت متبادلة بمعنى أنه يمكننا رصد مستويات سعت من خلالها الرواية الوطنية لصهر المسار الفردي لمحمد المختار السوسي ضمن خطوطها العريضة ومستويات نلحظ من خلالها سعي "محمد المختار السوسي" لدمج وصهر فضاء إلغ وسوس ضمن المروية الرسمية.

لعبت المدونة الخاصة بمحمد المختار ثلاث أدوار في علاقة بالسياقات التي برزت فيها والأطراف المتدخلة:

- دور مواجهة الاستعمار ومقاومته.
- دور محاولة الانصهار والتطابق مع الحركة الوطنية المغربية زمن الاستعمار.
- دور محاولة الانصهار والتطابق مع الهوية الوطنية لحظة تركيبها مع الاستقلال.

أما فيما يهم الآليات التي اعتمدت عليها أجهزة دولة الاستقلال لصهر هذه النماذج[١٢٠] فيمكننا رصد طريقتين:

- مشاركة "محمد المختار السوسي" في الجهاز الإداري الذي مسك بالسلطة لحظة الاستقلال فقد عين وزير للأوقاف في حكومة الاستقلال (١٩٥٥ -١٩٦٣)، ثم وزيرا للتاج وهو ما يأتي في إطار السياسة التي أتبعها السلطان المغربي لحظة الاستقلال والتي تركزت على التعويل على النخب البربرية ودمجها ضمن الجهاز الإداري وهو توجه أحدث ما وسمته بعض المقاربات بـ "بربر الدولة".

- حضور "محمد المختار السوسي" داخل الفضاء العام إثر الاستقلال من خلال الدروس الدينية التي ألقاها في الإذاعة المغربية بين ١٩٦٠ – ١٩٦٣ والتي وردت بالامازيغية واهتمت بشرح للأحاديث النبوية وتفسير لآيات قرآنية وذكر للغزوات وهو ما يحيل على وصولها إلى أعداد كبيرة ودليل على اعتراف الدولة بشكل رسمي بأن يتم التعامل مع المسالة الدينية من نخب أمازيغية لتصل للمتقنين لها. وفي نفس هذا الإطار يجب ألا نغفل مساهمة "محمد المختار السوسي" في مجلة "دعوة الحق" التي تأسست سنة ١٩٥٧ واعتنت بالدراسات الإسلامية حيث كانت مساهمته فعالة من خلال العديد من المقالات.

عبرت هذه التفاصيل على الخصوصيات التي رافقت النخب العالمة المغربية لحظة حصوله على الاستقلال بحيث تم الاحتفاء والتأكيد على وحدة المغرب بالدرجة الأولى.

خَاتِمَةٌ

نجح السوسي في التعبير عن نفسه من خلال ما نقله عن سوس وإلغ دائرة انتماءه الأولى، فأحتفى بالتفاصيل التي تعبر عن خصوصية هذا المجال والذي يجعل منه جزء من الهوية الوطنية المغربية ضامنا لوحدتها لذلك اتخذ من نموذج العالم والفقيه مطية لتحقيق هذه الرهانات.

تطرح مسألة صهر "بلاد السيبة" أو مجالات التخوم والمجالات الممثلة للأمازيغية العديد من الإشكاليات في علاقة بطبيعة هذا الذي صاغه "محمد المختار السوسي" وتأكيده على الاحتفاء بانتمائها للثقافة العربية الإسلامية بدرجة أولى فهل يمكن اعتبار ما قام به هو نوع من الانسلاخ وإنكار للخصوصيات الفعلية لهذه الفضاءات الممثلة للبعد الأمازيغي ضمن الهوية المغربية.

الإحالات المرجعية:

(١) السوسي (محمد المختار)، **الإلغيات**، الجزء ١، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) صدقي (علي)، "ملاحظات حول محمد المختار السوسي وأعماله"، جماعي، **المختار السوسي: الذاكرة المستعادة**، ص ١٨.

(٣) يعرّف "محمد المختار السوسي" سوس: "... نعني بسوس في كل أعمالنا التاريخية ما يقع من سفوح درن الجنوبية إلى حدود الصحراء من وادي نول وقبائله من تكنة والركائبات وما إليهما إلى حدود طاطة وسكتانة... ونتساءل هل لفظة "سوس" و"جزولة" و"المصامدة" يقصد بها المنطقة نفسها؟ فنجد المختار السوسي يأخذ بهذا التحديد وسماه "بلاد جزولة" وسمى كتابه "خلال جزولة" فجاءت جزولة في كتابه مطابقة لحدود "سوس". وتتحدد عنده بالأطلس الصغير ومنطقة "الساحل" الأطلسية السوسية وقد تمتد جزولة عنده لتشمل قبائل من الأطلس الكبير ودرع.

(٤) أومليل (علي)، "المختار السوسي: السلطة العلمية والسلطة السياسية"، **المختار السوسي: الذاكرة المستعادة**، أعمال الندوة التي نظمها إتحاد كتاب المغرب، ص ٧.

(٥) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ٢٠، ص ٢٧٩.

(٦) من بين الدراسات التي اهتمت ببادية المغرب: -جماعي، البادية المغربية: الذاكرة والتحولات، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، ٢٠٢١. - بوالنعناع (محمد)، ""الصحراء من منظور انتروبولوجي"، **مجلة رباط الكتب**، أفريل ٢٠٢٢. يمثل هذا المقال قراءة لكتاب "**المجتمع الصحراوي من عالم الخيمة إلى فضاء المدينة**" لرحال بوبريك. - رحال بوبريك، **المجتمع الصحراوي من عالم الخيمة إلى فضاء المدينة**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٢١.

يقف من خلاله على حيثيات التحول في المجتمع الصحراوي، وذلك انطلاقا من تتبع مسار انتقال الرحل من نمط الحياة البدوية، القائم على الترحال والتنقل الدائم بحثا عن الماء والكلأ، إلى نمط العيش الحضري بالمدن المحدثة عقب الدخول الاستعماري إلى المنطقة. فقد أجبر الرحل على التخلي عن نمط حياة دام لقرون، فلم تكن عملية الاستقرار هذه مجرد استقطاب للسكان نحو المدن، بل شكلت عملية استئصال للحياة البدوية.

(٧) " ... ذكر لي الأخ أحمد أنني كنت أتعلم أولا على والدتي حتى سورة عم يتساءلون... وقد كانت والدتي أستاذة داخل الدار تعلم البنات والبنين قبل أن يخرجوا إلى الأساتذة خارج الدار..."، **الإلغيات**، الجزء ٢، ص ٢١٥.

أما والدته فقد وردت ترجمتها بشكل مفصل ضمن "المعسول" والتي أكد فيها على الدور الذي قامت به في تعليمه، فقد تزوجها والده بالأساس لتقوم بهذه المهمة خاصة وأنها من بيت علم فقد "درجت بين يدي والدها علامة جزولة في عصره فكان يهم أن يدفع بها إلى الدراسة الواسعة في ميدان العلوم بعد أن أتقنت حفظ كتاب الله"(٧) وأشار إلى أنه يذكرها لوصف تعليم القرآن فقد كانت أول معلمة من النساء في إلغ..."، **نفسه**، ص ٣٩.

(٨) توجد في الجزء الشمالي الشرقي من" إلغ " - وتبعد عن قرية " دوگادير " بحوالي ١٤ كلم.

(٩) "... إني في هذه السلالة الصالحية التي ارتشفت منها أول رشفة من العلوم على شيخنا هذا الذي هو منها اليوم يمنزلة الهامة من الرأس..."، السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، ٢ / ١٥٦ ـ ١٩٠.

(١٠) توجد على بعد حوالي ٣٠ كلم جنوب مدينة تيزنيت.

(١١) http://www.mokhtarsoussi.com/index.php?option=com_content&view=article&id=65:madrassa3aika&catid=10&Itemid=125#_ftnref5

(12) Jillali El Adnani,"Les saints à l'épreuve du pouvoir: histoire d'une sainteté et anthropologie d'une culture",

(١٣) **الذاكرة المستعادة** ...، ص٢٤.

(١٤) جاء هذا الكتاب في نسخته العربية ليكشف لنا جوانب من حياة وثقافة "أمازيغ جنوب المغرب" داخل منطقة سوس تحديدا المعروفة ببساطة عيش أهلها في السهل والجبل كما توفق بإسهاب عند الأعراف التي كانت تسري بين القبائل في سوس، وما يطبق من قواعد على أبناء القبيلة الواحدة، فالتنظيم قائم بمقتضى ألواح وأعراف مسطرة. يقدم واتربوري على لسان محاوره "الحاج إبراهيم" صورة بانورامية عن مغرب الاستعمار، مشفوعة بتشخيص دقيق لأحوال المغاربة في القرى والمدن، وتحليل لموازين القوى السياسية والاجتماعية "الأحزاب، النقابات، الحركة الوطنية، الاستعمار الفرنسي..." في مغرب النصف الأول من القرن الـ ٢٠.

(١٥) واتربوري (جون)، **الهجرة إلى الشمال: سيرة تاجر أمازيغي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ٢٠٢٠.

(١٦) أومليل (علي)، "المختار السوسي السلطة العلمية والسلطة السياسية"، جماعي، **المختار السوسي: الذاكرة المستعادة**، أعمال الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب، ١٩٨٤، ص ١٦.

(١٧) نص محاضرة شارك بها الكاتب في الأيام الدراسية التي نظمها المجلس العلمي بتزنيت أيام: ٤-٥-٦ شعبان ١٤٠٦ هـ الموافق لـ: ١٦-١٥-١٤ بمناسبة الذكرى ٢٥ لتربع صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على عشر أسلافه المنعمين، ومرور سنة على رحيل جلالته للأقاليم الصحراوية. وكانت تحت شعار "المدارس العلمية العتيقة وجهادها في سبيل العرش والدي."
http://www.mokhtarsoussi.com/index.php?option=com_content&view=article&id=65:madrassa3aika&catid=10&Itemid=125#_ftnref5

(١٨) "...وقد أسسنا هناك (فاس) جمعيتين الأولى جمعية الحماسة وقد إتخذني الأعضاء رئيسا لأنني أول من دعا إلى ذلك ... والثانية جمعية سياسية سرية أسسناها في ١٢ رجب ١٣٤٤(١٩٢٤-١٩٢٥) وقد كان لهذه الجمعيتين فروع..."، السوسي (محمد المختار)، **الإلغيات**، ج٢، ص٢٢٧.

(١٩) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء١،

(٢٠) كتب عن هذه الفترة من حياته، يقول: "...ثم لما أبت من فاس، وقد ألمت بالرباط حيث احتفظت أيضا علوما وفهوما وأنظارًا وبحوثًا، لم أقع إلا في الرباط، وفي مشايخ الرباط حللت بالحمراء وقد ألقيت فيها مرساتي، وأنوي أن أقضي الواجب على ولوطني ولشعبي، ما بين تلميذ يهذب وبين درس إرشاد يلقى، وأنا في جانب ذلك أناغي اليراع، فيما عيسى أن يرجع من شأن هذه الأمة، من إحياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي أراها إذ ذلك في انهيار، ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا تكشفت عن أعمال كان فضل الله على فيها عظيما...". **الإلغيات**، الجزء ٢، ص ٢٢٧.

(٢١) مثلت مراكش محطة هامة بالنسبة للمسار الفردي لمحمد المختار السوسي حيث اعتبرها موطنه الثاني وذلك في علاقة بانخراطه في النضال الوطني وذلك منذ استقراره بمراكش أواخر سنة ١٩٢٩، أين تمهدت تلك الطريق.... بعد اختياره لطريق العلم والتدريس، وتوافد الكثير من الطلبة عليه، سيبدأ الصراع مع الإدارة الفرنسية بالمدينة، حيث شرع موظفوا الاستعلامات بتوثيق المعلومات حول أنشطته..."، أثر رحم الله (رشيد)، "محمد المختار السوسي وتجربة التعليم العتيق من خلال الأرشيف الديبلوماسي بنانت ١٩٣٧/١٩٣٠"، https://cjb.hypotheses.org/869

(٢٢) **الإلغيات**، ج ٢، ص ٢١٩ والتي تليها.

(٢٣) لم تتأخر سلطات الحماية في الانتباه إلى خطورة توجهات السوسي فبادرت إلى نفيه عام ١٩٣٧ إلى مسقط رأسه حيث قضى تسع سنوات. وفي أكتوبر ١٩٤٥ رفع عنه النفي فسارع بالعودة إلى مراكش واستأنف نشاطه التعليمي فضايقه المستعمر، فانتقل إلى الدار البيضاء غير أنه ما لبث أن ألقي عليه القبض عام ١٩٥٢ ونفي من جديد. أُطلق سراح السوسي سنة ١٩٥٤. وثقت لنا المصادر الأرشيفية وبشكل دقيق متابعة السلطات الاستعمارية الفرنسية لمحمد المختار السوسي... حيث "يسجل المراقبون في الصفحات الأولى معلومات استخبارية مهمة تؤكد [اجتماعه] مع بعض الأعيان بمراكش، وخلال اللقاء تم الاتفاق على وضع اللبنة الأولى لمدرسة حرة بالمدينة الحمراء، سيكون دورها بالأساس هو تعليم أبناء المدينة التعليم الإسلامي، على غرار مدن أخرى مثل تطوان، فاس، سلا، وغيرها، وسيشرف عليها محمد المختار السوسي..."، **نفسه**

(٢٤) حيث تظهر مراسلة من قائد الشؤون الإدارية بمراكش "كوجي" بتاريخ ١٦-١٠-١٩٣٤ إلى الإقامة العامة بالرباط، توجسا ملفتا من أنشطة "محمد المختار السوسي"، حيث ينبه فيها بعدم احترام المدارس التي يشرف عليها للمعايير القانونية التي تفرضها الدولة الحامية والمخزن الشريف. وبعد هذه المراسلة، أعطي الضوء الأخضر لفرض نوع من الضغط والحصار القانوني على محمد المختار السوسي... ونجد رسالة أخرى يطالبه مرة أخرى بجرد أنشطة المدرسة والبرامج التي يتم تدريسها، ثم عدد المدرسين وأسمائهم، فضلا عن عدد الطلبة المتمدرسين والمناطق التي ينحدرون منها...، **نفسه.**

(٢٥) "... حيث اقترح ضرورة إبعاد الفقيه بفعل تزايد أنشطته السياسية. هذا الاقتراح لم يكن أحاديا كما يُظهر الأرشيف، حيث كانت الإدارة الفرنسية تقوم بالتنسيق مع باشا مراكش "الكلاوي"، لفرض إقامة إجبارية عليه في مسقط رأسه بإلْغْ... يظهر مضمون عدد من التقارير التي رُفِعتْ عن المدرسة ابتداء من ١٩٣٦، انفعال المراقبين ضدها، وتخوفهم الشديد من الدينامية غير العادية للفقيه خارج مراكش، بفعل التنسيق الكبير بينه وبين نشطاء فاس ووالرباط. يمثل نفي السوسي خارج المدينة الحل الأخير الذي لجأ إليه الفرنسيون للحد من نشاطه التعليمي بعد استنفاد كل الوسائل الممكنة. لكن في هذا الصدد، يمكن اعتبار أحداث ١٩٣٧ محركا قويا دفع إدارة الاستعلامات بإيعاز من باشا مراكش إلى نفي السوسي وإبعاده نهائيًا" **نفسه**.

(26) « Si Mohamed El Mokhtar Derkaoui Soussi et Alem à la mosquée Ibn Youssef et Directeur d'une école libre illégalement ouverte …fanatique et xénophobe il est à la tête de la confrérie Derkaouia de Marrakech…

« Il laisse développer dans son école un enseignement principalement islamique parfaitement adapter aux circonstances politiques. On estime en 1937 qu'il a formé près de 500 disciples, tous xénophobes, dans cinq ans se nombre sera d'un millier… »

(٢٧) « Avec toutes les dangereuses conséquences qu'il pourrait comporter pour la tranquillité des esprits et le maintien de l'ordre public…»

https://cjb.hypotheses.org/869?fbclid=IwAR3r1skqLFf0hutm5l7fUk_WZF6qhZ2QuxCAByVrwk7kyeMWxnVCacwcpE#_ftnref46

(٢٨) "كنت في ذلك المنفي الأول بإلغ محصورا خمس سنوات متوالية لا أرى ولا أجتمع ولا أجالس إلا بعض من ستسربون إلي في زاويتنا من الذين يزورونها تعهدا لمكان شيخهم الوالد...فصار يراعي مرسلا في تقييد الشوارد واقتناص الأوابد إما من أفواه هؤلاء الذين يمكن لي أن أتصل بهم اتصالا كاملا تاما وإما من كتب... ثم لما من الله بان الفرج عني الأزمة سرحت أولا في سوس فأمكن لي أن أتقرى بعض نواحيه فصرت أعمل خطواتي على البغال غالبا فأقيد كل ما سنح بلا تكلف فتكررت الرحلات حتي كانت اربعة..."، السوسي(محمد المختار)، **خلال جزولة**، تطوان، المغرب، د ن.

(٢٩) "... فأرسلت عيني إلى الأمكنة التي فيها طلبتي وفي خزائنها رغبتي وبين صدور رجالها أمنيتي فرأيتها شبيمنها ما تكون حاجتي فيه على طرف الثمام..."، السوسي (محمد المختار)، **خلال جزولة**...، م س، ص ٥.

(٣٠) دليل مؤلفات ومخطوطات العلامة "محمد المختار السوسي" أعده ونشره ابنه عبد الوافي المختار السوسي.

(٣١) لم نعمل على الفصل بين "إلغ" و"سوس" وذلك قصد تبني نفس التوجه الذي اختاره "محمد المختار السوسي" فسوس هي مرآة لإلغ وإلغ هي مرآة لسوس.

(٣٢) السوسي (محمد المختار)، **من أفواه الرجال**، ص٣.https://issuu.com/dogadir/docs/minafwah01

(٣٣) السوسي (محمد المختار)، **خلال جزولة**، تطوان– المغرب.https://issuu.com/dogadir/docs/jazoula01

(٣٤) السوسي (عبد الوافي المختار)، "العلامة محمد المختار السوسي المترجم والجامع للأمثال الشعبية السوسية"، http://www.mokhtarsoussi.com/index.php?option=com_content&view=article&id=142:motarjimamtal&catid=10:article&Itemid=125

(٣٥) السوسي (محمد المختار)، خلال جزولة، تطوان – المغرب. https://issuu.com/dogadir/docs/jazoula01

(٣٦) وهو" في شكل رواية خيالية تجرى محاورتها بين قلت وقال فقد تحاورا أولا عن اللباس وتبيان الجديد منه والقديم ثم تحاورا عن الصحة والأتاي وبينا الولوع بها في سوس ثم محور أغاني الرعاة مع تدوين بعض ما جرى بين راعيتين من أبيات شعرية بالشلحة السوسية مع ترجمتها بالعربية" بالإضافة إلى مخطوطه "أعراف إلغ وما إليها يخص"عادات وتقاليد إلغ ونواحيها وما يعقدونه في الأعياد والمآدب والمجالس والأعراس والمآتم وكيف هي ألعابهم ولباسهم وطبخهم وما يفعلونه في عاشوراء واليوم الأول من يناير وكذلك الحرث والحصاد والدرس.."، السوسي(عبد الوافي)، **دليل مؤلفات ومخطوطات العلامة "محمد المختار السوسي"**،٢٠٠٥.

(٣٧) "بحث لغوي تتبع فيه الألفاظ الدخيلة على الشلحة السوسية مرتب أبجديا وبيّن في مقدمته مدى تأثير العربية في الشلحة وأنه جعله كقاموس صغير للكلمات العربية التي تروج في الشلحة وطريقته..."

(38)http://www.mokhtarsoussi.com/index.php?option=com_content&view=article&id=629:2019-04-09-23-00-18&catid=10&Itemid=125

(٣٩) "كتاب سوس العالمة كان ينبغي أن يخرج للوجود سنة ١٩٣٩... الطبعة التي اعتمدنا عليها تعود لسنة ١٩٥٩.

(٤٠) من ذلك مجموعة من المخطوطات التي اهتمت **بالمباحث الأدبية** كـ"مترعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس وقد "سجل فيه منتخبات شعرية ونثرية بالإضافة إلى تراجم مختصرة لأصحابها..." والمجموعة الإلغية في الآداب والآثار وهو "كتاب ضخم في جزأين وبه الآثار الأدبية ما يفوق. ٩٠ آثارا ما بين قصيدة أو أبيات شعرية ...وعدد كبير من الرسائل والوفيات وغالبه لأدباء سوسيين إلا القليل منهم..."، بالإضافة إلى دروس في التصريف "... وهي حوالي ٢٦ درسا كبيرا حاول فيها استخلاص كل ما يروم حول التصريف أفعالا ومصادر ومشتقات وتصريف أفعال..."ودروس أخرى في النحو المبسط، دروس ملحقة بالقواعد، دروس من اللغة والأدب، في النقد والأدب...

(٤١) أما فيما يهم **الفقه** يمكننا ذكر "رجالات العلم العربي في سوس" و"هو في شكل فهرس لعلماء سوس مرتب على الطبقات ويغطي من القرن ٥ ه إلى منتصف القرن ١٤ تزيد تراجم مختلفة لأزيد من ١٨١٥ عالم وعالمة بما فيهم كبار الصوفية والقراء...".

يمكننا رصد كتاب "تحفة القاضي في بدايات علوم الأصول" "ثم أتى بالمقدمة بالمؤلف الجويني ومعرفا بأصول الفقه وما معنى الفقه وما معنى الأصل ثم أتى بفهرس الأبواب وهي ستة عشر بابا وهي: أقسام الكلام– الأمر– النهي– المطلق والمقيد –الناسخ والمنسوخ– الإجماع والإباحة– أحكام المجتهدين... "بين الجمود والميع" وهي رواية في أفكار إسلامية نشرها في حلقات في مجلة دعوة الحق سنتي ١٩٥٧م و١٩٥٨م..."مثل كذلك مصنف "المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية" محطة بارزة ضمن هذه المدونة لمحمد المختار السوسي" وهو عبارة على مجموعة من النوازل الفقهية لطائفة من علماء سوس خلال ٤ قرون (١١ه-١٤ه)عمل "محمد المختار السوسي" على تجميعها وتغلب على هذه المجموعة الفقهية فتاوي الحبس والحيازة والبيع وتقل فيها فتاوي العبادات وتضم أيضا فتاوي من خارج سوس من مراكش فاس الجزائر الإسكندرية ومكة أعدها للنشر "عبد الله الدرقاوي" وقدم الكتاب "محمد المنوني" وهو من منشورات كلية الشريعة بأكادير ضمن سلسلة كتب تراثية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ١٩٩٥ (الطبعة الأولى)

(٤٢) بالنسبة **لرجال المتصوفة** من ذلك مصنف "الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي" ومصنف "الصالحون المتبرك بهم في سوس أخيرا" و"إتحاف النية لبعض مآثر سيدي أحمد الفقيه "و"آثار العلامة سيدي محمد بن عبد الله الناصري".

(٤٣) ديوان معتقل الصحراء" (ورد في أجزاء) وهو عبارة على قصائد قالها في معتقل "تنجداد" و"أغبالو نكردوس" أو كما أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب هو عبارة على "مذكرات عن المعتقل يضم جزءين: يتكون الجزء الأول من قسمين القسم الأول في "التنجداديات" أي كل ما يتعلق

بالفترة التي قضاها "محمد المختار السوسي" في "تنجداد" والقسم الثاني في "الكردوسيات" أي كل ما يتعلق بمقامه في "أغبالو نكردوس"، أما الجزء الثاني فهم مجموعة من تراجم لمن اعتقلوا معه حيث يشير إلى أنه كتب تراجمهم من أفواههم ونقل فيه معطيات تهم سيرهم من نسب وتكوين وخاصة ما وسمها بعلاقتهم بالوطنية أو "وكيف تعرفوا عليها.

"العرشية النونية الكبرى" وهي قصيدة طويلة لم يتممها وما وجد منها فيه ١٣٠ بيتا وقد عنون على رأس كل مجموعة من الأبيات فيها ما يلي: العرش والشعب – تأسيس العرش – العلويون على العرش – المحافظة على العرش – مهمة الجنوب للعرش من قديم.

مخطوط "أدبيات ورسائل وقت وزارة في الأوقاف" "جمعه في مجموع وجدت في "ملف ضم الرسائل والقصائد الشعرية التي توصل بعد الاستقلال أثناء تولية منصب وزير الأوقاف ومنصب وزير التاج بعده وهي رسائل وقصائد للتهنئة بهذين المنصبين وفي المجموع كذلك قصائد رفعت إليه كتهنئة بإستقلال المغرب ومنها بعض تهانىء لمحمد الخامس عند زيارته للأقاليم الجنوبية السوسية.

"وصف الغطريس" ملخص كتاب نعث الغطريس الفسيس للمهدي الناصري في أخبار مبارك التوزونيين والأنكادي المقاومان للمحتلين في تافيلالت وقد اجتهد ملخصه على أن يلتقط منه أخبار هذين المقاومين دون ذكر الأدبيات ...".

(٤٤) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ٢٠، ص ٢٧٧.

- **المعسول**، الج١٦، ابتداءا من صفحات٦ ٣/ ٢٧١.

45

( )-https://issuu.com/dogadir/docs/ridallah-abdolwafi

(٤٦) " ... هناك منذ أوائل القرن ٥ في سوس علماء وأدباء عربيين كانوا يعيشون بالهواء المغربي في قرى مختلفة كما عاش أمثالهم من العلماء والأدباء في الحواضر والبوادي التي في الضواحي... من في تلك الزوايا الجنوبية المغربية أيضا في النبوغ المغربي في العلوم العربية وآدابها..."، السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ١، الخاتمة.

(٤٧) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، ...، الجزء ١، ص ١٢.

(٤٨) حيث يشير إلى أنه "...ولما أفرج عنه الإفراج الأول في سوس فصار ينتقل في الأسفار السوسية ليكمل التراجم "كما وجدت بحرا زاخرا من تراجم أخرى ... فملأت ما بين ١٣٦٠ه إلى مختتم ١٣٦٤ بالكتابة في ذلك حتى تضخم الكتاب وقارب ما يراه عليه القارئ اليوم ثم لما انتقلت إلى سكنى مراكش في مختتم ١٣٦٤ه واندغمت في الدراسة مع طلبة جدد اجتمعوا أيضا حولي في باب حكالة بقي الكتاب في حقيبة كبرى منسيا يندب شجوه حتى كأنني لم أكتبه فلا يجري ذكره على لساني ثم لما دهمت سنة ١٣٧٠ه صرت التفت إلى ما في الحقيبة فأزيد الكتاب أشياء ظفرت بها جديدا وحين غام الأفق وكان الاعتقال على الأبواب نقلت كل مخطوطاتي في حقائب إلى إنسان أمين...وحين رجعت من الاعتقال كان أول ما اشتغلت به وشغلت كل من يلتفون حولي...أن أكببنا على تخريج كل مسوداتي السوسي (محمد المختار)،**المعسول**، ج ١، المقدمة.

(٤٩) "... كل من له مسكة من العلم والصلاح من أهالينا كيفما كان..."، **نفسه**، ص ١٥٤.

(٥٠) "... هو لم يتبع أسلوب كتب الوفيات... ولم يتبع أسلوب الطبقات... ولم يلجأ إلى أسلوب الحوليات...ولم يكن ينتظر من المؤلف أن يتبنى ما يسمى اليوم بالإشكالية الاجتماعية لينظم بها تاريخ إلخ ...ولكنه سعى إلى أن يجمع أطراف التاريخ السوسي المرتبط بإلخ كمركز للإشعاع العلمي والصوفي وقد توسل إلى نظم سلك هذا التاريخ بصنع هرم بشري يتكون من ثلاث أهرمات متداخلة يوجد في قمة أكبرها الشيخ التهالي جد الأسرة الإلغية وكانت وفاته سنة ١٠٥٠هـ. وفي قمة الهرم الثاني يوجد محمد بن عبد الله مؤسس المدرسة الإلغية المتوفي سنة ١٣٠٣هـ. وفي قمة الهرم الثالث يوجد الشيخ علي الدرقاوي والد المؤلف وهو صاحب الزواية الإلغية الصوفية المتوفي سنة ١٣٢٨هـ. يضم المعسول ٤٨٠ ترجمة لسوسيين من رجال العلم والتصوف والرئاسة تشدهم إلى الشخصيات الثلاث المذكورة روابط المشيخة أو التلمذة أو الصحبة في العلم أو التصوف..."، التوفيق (أحمد)،" التاريخ في الزمن المعسول أو محمد المختار السوسي من زمن النحو إلى زمن التاريخ"، جماعي، **الذاكرة المستعادة...، م س**، ص ٧٢-٧٣.

(٥١) "... كان الغرض الأساسي في الكتاب من أول يوم هو تخليد أهل هذا البسيط إلغ في التاريخ أداء لحق هذه الأسرة الصالحة العالمة أسرة ءال عبد الله ابن سعيد... ثم لما جمعت منهم وممن يساكنونهم أخبار صلحائهم وعلمائهم وأدبائهم وروؤساهم ما أمكن..."، السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ٢٠، ص ٢٧٦.

(٥٢) **نفسه**، ص ١٨٤-٣٢٤.

(٥٣) **نفسه**، ص ١٦٠ ،١٦٤.

(٥٤) **نفسه**، ج٣ /٣٩ – ٥٦.

(٥٥) **نفسه**، ص ١٣٨.

(٥٦) "... حيث يشير "هذا جد والدي ومربيه ومعينه على حفظ القرآن. وقد كان لوالده أحمد وجاهة وذكر ومال، ولكنه لا يذكر إلا بهذه الوجاهة وهي مالا نعتبره في أهال ومال، بالترجمة الخاصة ما لم يكن معها صلاح مشهود أو علم لأن أمثال هذه الوجهات في قبيلتنا وجاهات شخصية لا تعدو نفع الأسرة ولا تجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة ولذلك أسقطنا شرطها في أهالينا الخاصة..."، **نفسه**، الج١ ص ١٤٧.

(٥٧) **نفسه**، ج٢ ص ٢٠٤.

(٥٨) **نفسه**، ج٢ ص ٢٦٩.

(٥٩) **نفسه**، (ج٢ ص ٥٨/ ص ٦٠/ الرعيل الرابع/ النشيء الأخير/

(٦٠) **نفسه**، الجزء ١/ ص ١٠١-١١٣.

(٦١) **نفسه**، ج١/ ص ١٣٨.

(٦٢) **نفسه**، ج١ /ص١٤٨ مع العودة لمقدمة الجزء الأول فيما يهم هذا الجزء وغيره من الأجزاء.

(٦٣) **نفسه**، ج ٣ ص ١٦٧.

(٦٤) **نفسه**، الج ٣ ص ٢٦.

(٦٥) " ... من ذلك ما قدّمه في كتابه المعسول، من معطيات عما سمي بـ"انتفاضة ايت باها وانتهى إلى القول "هكذا كانت هذه القضية التي زعزعت القطر السوسي وسقط فيها شهداء كثر وهم عند ربهم يرزقون هذه الانتفاضة التي تزعمها ثلاثة رجالات أمازيغ، وهم الفقيه "سي الحسن البوشواري" والشيخ إبراهيم بن سي أحمد المزالي و"الحوس بن عمر الودريمي"، بالإضافة إلى مقاومين أمازيغ آخرين. توجهوا من موسم لالة تاعلات إلى ضريح سيدي عبد الله بن سليمان في أيت والياض، وكانت الانطلاقة من هناك إلى مركز "أيت باها"، فاندلعت معارك ضد الوجود الفرنسي..."، **نفسه**، ج١/ ٣٤٠.

(٦٦) عملت بعض الدراسات على الاهتمام بمبحث المقاومة ودور مختلف المناطق المغربية في هذا الفعل، فتم إبراز "جذور المقاومة من الشمال

إلى الصحراء" وفي ذلك تأكيد على مساهمة كل المجال المغربي في مقاومة الاستعمار وهو ما يكرس فكرة وحدة المجال الجغرافي جماعي، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار ١٩٠٤-١٩٥٥: الجذور والتجليات**، جامعة ابن الأزهر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ١٩٩٧.

(٦٧) جماعي، **تاريخ المغرب: تحيين وتركيب**، إشراف محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ٢٠١١، ص٥٥٢/٥٥٨/ ص٦٠٤.

(٦٨) السوسي (محمد المختار)، **الإلغيات**، ص٢٣-٢٤.

(٦٩) **نفسه**، ص٢٥.

(٧٠) السوسي (محمد المختار)، **معتقل الصحراء**، ص١٧.

(٧١) حاول "صدقي علي إيزايكو" من خلال مقال له حول "ملاحظات حول محمد المختار السوسي" تقديم مجموعة من القرائن التي تدل على الدور السياسي لمحمد المختار السوسي حيث اعتبره "قطبا من أقطاب الحركة السياسية والثقافية في المغرب كله وفي الجنوب بصفة خاصة..."، ص١٢٣.

(٧٢) أومليل (علي)، "المختار السوسي السلطة العلمية والسلطة السياسية"، جماعي، **المختار السوسي: الذاكرة المستعادة**، أعمال الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب، ١٩٨٤، ص٢٣.

(٧٣) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء١، ص٢٢.

(٧٤) "نعني بسوس في كل أعمالنا التاريخية في هذا الكتاب وغيره ما يقع من سفوح درن الجنوبية إلى حدود الصحراء من وادي نول وقبائله من تكنة والركائيبات وما إليهما إلى حدود طاطة وسكتانة..."، السوسي (محمد المختار)، **سوس العالمة**، ص١٦.

(٧٥) "... عدم شهرة تلك القرون بالعلم العربي السوسي كما اشتهرت به بعد ذلك والسبب الوحيد هو ما ابتلي به السوسيون إلى اليوم من عدم الإعتناء برجالهم..."، **نفسه**، ص١٠.

(٧٦) "... فقد "جاء "التاسع بفاتحة خير وكان قرن مجيدا في سوس... وجاء القرن ١٠ فطلع بحركة علمية أدبية أوسع مما قبلها... فزخرت سوس علما بالدراسة والتأليف والبعثات تتوالي إلى فاس ومراكش...ثم جاء القرن ١١ بزبدة علمية عالية من فطاحل العلماء عادت فتاويهم قوية غير ضعيفة...ثم جاءت دويلة ايليغ فأخذت بضبع العلم والأدب إقتداء بالبديع فأسندت المناصب القضائية في كل قبيلة إلى مستحقيها وتعمر بهم مجالس التدريس في مساجدها...كما أشادت بالعلماء أشادت بالأدباء فرأينا الشعراء الجزوليين يشيدون بمجد إيليغ... ثم جاءت الدولة العلوية السعيدة فكانت سعد السعود على السوسيين فقد تكاثرت المدارس حتى أن معظم المدارس السوسية لا نراها أسست إلا في هذا العهد فقد لاقي العلماء السوسيون في كل مناسبة ممن تسنموا العرش العلوي تنشيطا واحتراما زائدا..." . **نفسه**، ص٢٠-٢٢.

(٧٧) **نفسه**، ص٢٥.

(٧٨) "وهي كلها علوما يري فيها السوسيون "أذنا بالعلم اللغة العربية ولا مفتاح لهذه العلوم إلا إذا دخلوا من هذا الباب.. وأهمية اللغة العربية والعلوم المتصلة بها تأتي في إطار أن "السوسيين أجانب عن لغة الضاد...فبمقدار إكبابهم عليها تتزحزح العجمية عم ألسنتهم وتتمكن روح الأساليب العربية من أذواقهم حتى تأخذهم نعرة ربما تكون شديدة للعربية كأنها إرث أجدادهم..." **نفسه**، ص٣٨/٣٩.

(٧٩) أومليل (علي)، "المختار السوسي السلطة العلمية والسلطة السياسية"، جماعي، **المختار السوسي: الذاكرة المستعادة**، أعمال الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب، ١٩٨٤، ص٨.

(٨٠) **نفسه**، ص٩.

(٨١) حيث أشار إلى أنه بصدد الكتابة " بدار أهله بـ"إلغ حيث جمعت من مواد الكتابة ما جمعت وأنا في عزلة تامة عن العالم الذي يتلظي بهذه الحرب الثانية وفي غربة أرخت على عزاليها وأنا منفرد في غرفتي هذه البدوية الساذجة...".

(٨٢) Le sujet du dahir est le noyau du mythe fondateur du nationalisme marocain, qui a fait de ce décret et de ses suites politiques l'essentiel de sa légitimité dans son émergence politique.
#https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k3207143/f13.item
https://journals.openedition.org/remmm/3551
SadkiAzaykou, **L'histoire du Maroc et les interprétations possibles**. Séries d'articles Rabat, 1980-2000, éd. Centre Tarik Ibn Zyad, 2001.

(٨٣) ينص هذا الظهير من خلال فصليه الأول والثاني على ما يلي:
الفصل الأول: إن القبائل البربرية الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة الحكومة. **الفصل الثاني**: تصدر قرارات من الصدر الأعظم بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة في تعيين القبائل المتبعة للعوائد البربرية، كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبائل والقوانين والضوابط.

(٨٤) السياسة الفرنسة البربرية بالمغرب ما بين سنتي ١٩١٣ و١٩٣٠_ أصولها وأهدافها وردود فعل المغاربة إزاءها.

(٨٥) "... موقف "محمد المختار السوسي" من الظهير البربري " منع الاحتلال الشرع الإسلامي من الإنسحاب على عدة نواح من أنحاء المغرب قد ناطوها بما سموه الأعراف البربرية ظلما وعدوانا وسعيا في تفرقة الشعب الواحد على نفسه فريقين. وقد ذاع وشاع ما نشأ عن ذلك مما ثار حول الظهير البربري وعرفه كل أحد وهي سياسة خرقاء أظهرت ما للإستعمار نحو المغرب من نيات سيئة وقد قاومها المغاربة بقيادة شبابهم المفكر منذ يوم "اللطيف" عام ١٣٤٩ه.. السوسي (محمد المختار)، **الإلغيات**، الجزء ٢، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٣، ص ٨١.

(٨٦) انطلق "عبد الله العروي" ضمن مصنفه "مجمل تاريخ المغرب" من سؤال هل جدد التأليف الإستعماري الرواية التاريخية المغربية، العروي (عبد الله)، **مجمل تاريخ المغرب**...، Noor-Book.comمجمل تاريخ المغربpdf.

(87) Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956, Paris, Éditions J. A., 1978, 550 p., in-8°. « …Le livre couvre six siècles de l'histoire du Maroc. l'auteur cherche les racines du mouvement de résistance que le pays n'a jamais cessé d'opposer à la pression étrangère… l'essentiel de l'étude porte sur la période coloniale et s'ouvre par une « interprétation de la nature du protectorat » établi par la France en 1912. L'idée maîtresse est la suivante : la France n'était pas gouvernée et le protectorat était ingouvernable… Du Maroc de Lyautey au rétablissement de la souveraineté marocaine et de l'unité territoriale, l'auteur tient

solidement les fils de l'intrigue et nous la fait suivre dans ses moindres détours : à Paris, où s'élabore la politique coloniale ; à la Résidence générale, où elle n'est pas appliquée; au palais du sultan, où l'on voit se forger la personnalité de Si Mohammed, futur Mohammed V, le symbole et l'artisan de la résistance nationale, et enfin dans les différentes couches et les divers éléments de la société marocaine...Ainsi, par exemple, de la politique scolaire du protectorat; ou de la critique de stéréotypes classiques comme le mythe berbère, le couple makhzen-siba, l'opposition entre Maroc arabisé et islamisé et « montagne berbère, religieuse mais païenne »Au milieu du livre, un chapitre sur « la poussée nationaliste et les affrontements (1930- 1942) »... les agencements sociaux, les ressorts internes à la société marocaine, le fonctionnement du politique dans une société tout à la fois tribale et monarchique… », Valensi Lucette. Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956. In : Annales. Economies, sociétés, civilisations. 35e année, N. 3-4, 1980. pp. 822-823 ; https://www.persee.fr/doc/ahess_0395-2649_1980_num_35_3_282670_t1_0822_0000_001

(٨٨) بليلش (محمد)، "تحولات مفهوم الهوية الوطنية في المغرب: من الحركة الوطنية إلى الحركة الأمازيغية، ١٩٣٠-٢٠١١"، https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/605/2/2/141189

(89) Sabine Planel, « Le Souss ou la marginalité utile Réseaux et configurationterritoriale », Critique économique n° 25, Automne 2009, pp 55-69

(90)- « … La marginalité est davantage un phénomène dynamique qui se marque par un positionnement partiellement en dehors d'aires d'influence, de réseaux et/ou de flux organisés autour d'un centre. La marge n'est donc pas totalement en dehors, ni tout à fait en dedans. L'ambiguïté de son positionnement provoque une forme d'hypertrophie de son caractère multiscalaire. Tous les espaces se caractérisent par une appartenance à différentes échelles… », ibid., p56.

(91) « … Longtemps l'amazighité des populations a constitué dans le royaume marocain un facteur de marginalisation important, d'autant plus facilement que ce trait ethnique ou culturel était lié à la ruralité des habitants… les facteurs de marginalisation sont pluriels. Nous voudrions en retenir deux dans cette partie – la distance et la culture… », ibid, p 61.

(92) « …Qu'elles soient au centre ou à la périphérie d'un espace national, les régions évoluent. Leur positionnement n'est jamais figé, même si l'épaisseur du temps et la profondeur de l'espace marquent les pratiques sociales et finissent par conférer à la région une identité dominante, mais jamais exclusive. La caractérisation d'un espace régional fait problème, de même que sa délimitation… », ibid, p ٦٥.

(٩٣) حكمت ثنائية النفي والإثبات المسألة البربرية في المغرب
El Qadéry Mustapha. Les Berbères entre le mythe colonial et la négation nationale. Le cas du Maroc. In : Revue d'histoire moderne et contemporaine, tome 45 N°2, Avril-juin 1998. pp. 425-450 ;
https://www.persee.fr/doc/rhmc_0048-8003_1998_num_45_2_1918

(٩٤) ولد "محمد شفيق" سنة ١٩٢٦، بقبيلة ايت سادن، المنحدرة من الأطلس المتوسط المغربي، قام بمحاولات لكتابة الشعر الأمازيغي بنفسه وقد تولى رئاسة "جمعية قدماء ثانوية" آزرو، وذلك في الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٥و ١٩٦٩، كما عمل على تأليف مجموعة من الكتب، وتحرير مجموعة من المقالات يؤسس فيها للتعددية اللغوية والتنوع الثقافي، ويدافع فيها عن الطرح الأكاديمي للغة الأمازيغية.

(٩٥) ولد "**علي صدقي أزايكو**" بضواحي "تافنكولت"، بإقليم تارودانت، التابع لسوس، وذلك سنة ١٩٤٢، ثم التحق بجامعة السوربون بباريس لتحضير أطروحته الجامعية في موضوع " تاريخ وادي نفيس"، تحت إشراف جاك بيرك، كانت الدراسات التاريخية التي اختارها صدقي علي أزايكو، قد ساهمت في تشكل الوعي بالهوية الأمازيغية لديه، وهو ما يمكن استنتاجه من خلال كتاباته في تلك المرحلة، ففي سنة ١٩٦٨، كتب مقالاً في جريدة صوت الجنوب تحت عنوان "الأصالة والعمق في العودة إلى الثقافة الشعبية"، حيث انتقد ارتباط بعض المثقفين بالشرق، والبعض الآخر بالغرب، الشيء الذي كانت الثقافة الشعبية المغربية ضحية له، كما كتب مقالا في مجلة الكلمة سنة ١٩٧١،عنونه بـ"تاريخ المغرب بين ما هو عليه وما ينبغي أن يكون عليه"، وفي سنة ١٩٨١،حرر مقالا في مجلة أمازيغ تحت عنوان :"في سبيل مفهوم حقيقي لثقافتنا الوطنية"، حيث انتقد فيه الأسس الثقافية التي بنى عليه المغرب وجوده، وقد عرض هذا المقال صاحبه للاعتقال، والحكم عليه سنة سجنا نافذة .أصدر صدقي علي أزايكو مجموعة من الكتب: الإسلام والأمازيغ، تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، إلى جانب ديوانين شعريين " :تيميتار" والتي تعني العلامات «إيزمولن" والتي تعني آثار الجراح.

(٩٦) ولد **ابراهيم أخياط** سنة ١٩٤١، بالأطلس الصغير في منطقة سوس، وانتقل في سن مبكرة إلى مدينة الرباط، وقد انخرط في في الحياة الجمعوية، حيث انخرط في الكشفية الحسينية، وهو ما جعله يخرج من تقوقعه اللغوي والثقافي قرر إبراهيم أخياط تأسيس الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، إلى جانب مجموعة من أصدقائه.

(٩٧) محمد بليلش، "تحولات مفهوم الهوية الوطنية في المغرب من الحركة الوطنية إلى الحركة الأمازيغية ١٩٣٠-٢٠١١"، مجلة التاريخ المتوسطي. المجلد ٢٠ ، العدد ٢٠ . شهر ديسمبر ٢٠٢٠، ص٢٤٩ - ٢٦٦.

(٩٨) بلبيض (محمد)،"تحولات مفهوم الهوية الوطنية..."، م س،

(٩٩) **نفسه.**

(١٠٠) **نفسه.**

(١.١) كتاب جماعي، **تاريخ المغرب** ...، م س، ص ٦١٨.

(١.٢) "عرفت هذه المرحلة تكوين ثلاث حكومات الأولى ففيما بين سنتي ١٩٥٥-١٩٦٠ تعاقبت على المغرب حكومات وفي ذلك مؤشر على عدم الاستقرار: ترأس الحكومة الأولى والثانية البكاي بن مبارك لهبيل الذي أشتهر باسم السي البكاي في ٢٦ اكتوبر ١٩٥٦ وترأس الحكومة الثانية أحمد بلافريج بتاريخ ١٢ ماي ١٩٥٨ كما ترأس عبد الله إبراهيم الحكومة الموالية." **نفسه**، ص ٦٢٦.

(١.٣) جماعي، **تاريخ المغرب**...، يمكن العودة لـ ٦٢٩ والصفحات التي تليها.

(١.٤) **نفسه**، ص ٦٨٨.

(١.٥) **نفسه**، ص ٦٩٩.

(١.٦) **نفسه**، ص ٦٩٩.

(١.٧) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، ج١،

(١.٨) البربر في المغرب ثلاث فئات سكانية متميزة ليس فقط بمناطق سكناها، بل أيضًا بلهجاتها:

- سكان جبل الريف السلسلة الجبلية المحاذية للبحر الأبيض المتوسط ويتحدثون لهجة خاصة تسمى "تاريفيت" نسبة إلى الروافة سكان جبال الريف.
- سكان جبال الأطلس المتوسط وجزء من الأطلس الكبير ويتحدثون لهجة خاصة تسمى "تمازيغت" نسبة إلى أهلها إيمازيغن
- سكان الجنوب ما بين مراكش والصحراء الغربية (إقليم سوس خاصة) ويتحدثون لهجة خاصة تسمى "تشلحيت" نسبة إلى أهلها الشلوح.

(١.٩).... "تحولات مفهوم الهوية الوطنية في المغرب: من الحركة الوطنية إلى الحركة الأمازيغية"

(١١.) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ٢٠، ص ٢٨. والصفحات التي تليها.

(١١١) ثمة فرق منهجي واضح بين الذاكرة التاريخية والذاكرة الجماعية، فالأولى عبارة عن ذاكرة نقدية، تأويلية، فكرية، بينما الثانية تجسد ذاكرة انطباعية، انتقائية واحتفالية...هذا التضارب يجعل الأوساط الإعلامية والسياسية تخلد ذكرى الملاحم والأمجاد لتشكيل مفهوم "الأمة"، وبناء التلاحم الاجتماعي، كذكرى معركة وادي المخازن 1578م، وذكرى أنوال ١٩٢١م، وذكرى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال ١٩٤٤، من خلال توظيف معجم تاريخي: الملاحم، البطولات، الأمجاد، المقاومة، الاستقلال، وتتغاضى في المقابل عن توثيق وتخليد الانكسارات .لقد تنبه بول ريكور إلى عمق هذه القضية، وتساءل عن الافراط الذي يخلفه تخليد الذكرى الذي قد يقود إلى حجب التاريخ، بل وربما مصادرته؟ وعبر هذا الاحتجاس الذي عبر عنه صاحب "التاريخ الذاكرة والنسيان" ترتفع هواجس مصاحبة، لماذا لا يتم تخليد الانكسارات الوطنية ورفعها إلى السطح كهزيمة اسلي ١٨٤٤م وهزيمة تطوان ١٨٥٩م ومعاهدة الحماية ١٩١٢؟ وماذا عن المخزن؟ https://journals.openedition.org/anneemaghreb/349

(١١٢) السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء ٢٠، ص ٣٠٨.

(١١٣) **نفسه**، ص ٣١٤.

(١١٤) **نفسه**، ص ٣٢٧.

(١١٥) **نفسه**، ص ٣٠٦.

(١١٦) **نفسه**، ص ٢٩١.

(١١٧) **نفسه**، ص ٣٠٣.

(١١٨) جماعي، **تاريخ المغرب: تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ٢٠١١، ص٥٨٧.

(١١٩) **نفسه**، ص ٥٨٨.

(120) MUSTAPHA EL QADERY, L'état-national et les berbères. Le cas du Maroc. Mythe colonial et négation national

https://www.persee.fr/doc/rhmc_0048-8003_1998_num_45_2_1918